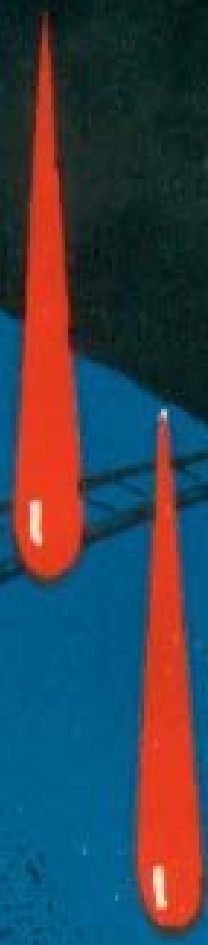


چون شنائینک

گامبر



ترجمہ

ثروت ایاضی
عبدالله البشیر

LibraryMareeb.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

com

com

com

في منيب القمر

نشر بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

في منيب القمر

تأليف

يون شتاينيك

ترجمة

ثروت أباطة و عبد البشير

مكتبة النهضة المصرية
للمصاحبة حسن ويوسف محمد وأخواتهما
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

١٩٥٦

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة
والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of "The Moon
is Down" by John Steinbeck. Copyright, 1942, by
John Steinbeck. Published by The Viking Press,
New York, U.S.A.

المشتركون في هذا الكتاب

جون شتاينبك : مؤلف القصة من أكبر كتاب أمريكا
المعاصرين (قرباً المقدمة) .

الأستاذ ثروت أباظة : أحد مترجمي الكتاب : محام
وأديب معروف ألف عدة كتب منها كتاب « أبو عمار »
« الحياة لنا » وعرف بعملاته الأدبية العديدة في المجلات
والصحف وبتمثلياته الإذاعية .
بدأ حياته الأدبية في ١٩٤٤ مع « من مواليد ١٩٢٧ » ،
ومارس سائر فنون الأدب فبنى له اسماً في الأوساط الأدبية
وعرفه قراء مخلصون له وليس ذلك بغريب فهو سبط
أسرة عرفت في عالم الآداب .

الأستاذ عبد الله البشير : أحد مترجمي الكتاب :
الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة ثم في جامعة أكستر
بانجلترا وكانت رسالته في مسرحيات ت . س . اليوت ،
وهو الآن وكيل مكتب البعثات بلندن ، وقد اشترك مع
الشاعر الكبير عبد الله أباظة في تأليف مسرحية شهريار ،
كما ترجم مسرحيات عديدة ، وله تلاميذ يعترفون بكفضله
صغر سنه فهو من مواليد ١٩٢٤ .

الأستاذ حسين بيكار : مقرر الغلاف - أستاذ بكلية
الفنون الجميلة ، ومن أشهر الرسامين المصريين .

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

com

com

com

مقدمة

من أهم وظائف الناقد أن يفسر مدى ارتباط العمل الأدبي بالمجتمع الذي نبع منه الأدب وارتباط هذا العمل بعيش القارئ ، وعلى الناقد بعد هذا أن يقارن بين مختلف التجارب الأدبية كي يبلور ألوانها الرفيعة ومعانيها الغنية التي تتعمق جذورها المجتمع الذي نبت فيه القارئ .

وإذا أخذنا بهذا الرأي في تقديمنا لهذه الفصحة وجدنا أن علينا أن نعرض لكلاهما في إطار المجتمع الذي يعيش فيه وأن نرده إلى مدرسة أدبية بعينها ثم نجرد هذه القصة من خصائصها المحلية وأحداثها التي ترتبط بظروف خاصة كي نستخلص منها حقائق إنسانية عامة تصلح لكل عصر ولكل مكان .

جون شتاينبك وروح العصر :

ينتمي جون شتاينبك إلى مدرسة ذات أثر واسع في تطور الأدب الأمريكي المعاصر وهذه المدرسة تشغل بسؤال جوهرى وتحاول الرد عليه ؛ « ما هو الإنسان ؟ » أو « ما هو

موقف الانسان من القوى التي تحيط به وقد انقسم
أنصار المدرسة الى شعب ثلاث ازاء سؤالهم هذا
فبعضهم يهتم بمصير الانسان بمعناه المطلق . والفلاسفة
منهم يتخلعون بالقيم الفلسفية المثالية أو المسيحية التقليدية
ويتخذونها أساسا لتفهم مكانة الانسان في هذا الكون ومن
بين هؤلاء يمكننا أن نذكر يول المرمور Paul Elmer More
وثورتون وايلدر Thornton Wilder . وهناك فريق آخر
من الكتاب يحاول أن يصل الى كنه الانسان بالوصول الى
دخيلة روحه الخفية ومن هؤلاء ثيروود اندرسن Sherwood
Anderson ووليام فولكنر William Faulkner والفريق الثالث
يحاول أن يربط بين الواقعية الدقيقة والشعر الالهامي عن
معنى الحياة أو الموت . وهم يتبعون البحث عن معايير وقيم
جديدة ، ويمثل هؤلاء الكتاب هيمينجواي Hemingway
وجون شتاينبك John Steinbeck ، وهذه الفرق الثلاثة
من الكتاب تتفق جميعا رغم ما بينهم من فروق فردية إذ انهم
ينشدون المعاني الكامنة وراء الخبرة المادية المحسوسة .
ويمكن اعتبارهم استمرارا لتقليد بدأه أديجار الان پو
Edgar Allan Poe ومثل Melville ذلك التقليد الذي
اختفى تقريبا في بداية القرن العشرين كي يظهر من جديد
على أيديهم في ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن .

وكان ظهوره في هذه الفترة احتجاجا ورد فعل على إهمال
القراء وانصرافهم عن الاتجاهات الميتافيزيقية الفلسفية
واقبالهم على المناقشات المادية العملية .

ولم يلق هؤلاء الكتاب أول الأمر قبولا من جمهور
القراء . بل إن الأس دب إلى قلوب بعضهم حتى أنهم
هاجروا إلى أوروبا أمثال هنري جيمس وتوماس ايليوت
وأخيرا هنري ميلر Henry Miller الذين عاشوا في
فرنسا فترة بعد الحرب العالمية الأولى كانوا فيها يعلنون
اتجاهاتهم الصارخة ضد المادية التي تغطي على الفكر
الغربي بأسره . ولكن التقدير الذي لقيته مؤلفات الكاتب ميلر
بعد ما عاتته من نسيان وإهمال كامل والتقدير الذي تلقاه
مؤلفات هؤلاء الكتاب المعاصرين الذين يعتبرون استمرارا
لهل ، هذا التقدير يدل دلالة واضحة على تحول العقيدة
الأمريكية من البرجماتية المادية العلمية إلى التفكير الفلسفي
المجرد .

إلى جانب هذه الخصائص العامة التي يشارك فيها
شتاينيك غيره من الكتاب نرى أن له ككل كاتب كبير صفات
خاصة تميزه عن غيره من الكتاب ولعل أهم هذه الخصائص
هي إيمانه بالمسئولية وقدرته على خلق الجو الملائم لبرهان
هذا الإيمان . والمسئولية عنده ترتبط ارتباطا عميقا بالمشاكل
الاجتماعية والسياسية للحياة الجماعية .

وقد نال شتاينيك شهرة بعد نشر قصته مسكن تورتيلا Tortilla Flat عام ١٩٣٥ ولكن الطريق الذي سيسير فيه لم يكن قد اتضح بعد ، وقد نجح في هذه الرواية في تصوير الحياة اليومية العادية لطائفة من الناس تشرب النبيذ وتنشد الهوى وتعيش دون أن تفعل شيئا ذا قيمة وقد نجح الى حد كبير في أن يجعل وصفه للبيئة المحلية وصفا دقيقا فعلا . واستبانت في هذه الرواية الدلائل الأولى عن دوافع الوعي الجماعي التي صارت فيما بعد من الخصائص الجوهرية في شتاينيك. وتبلورت هذه الخصائص بوضوح أكثر في مؤلفاته التالية خاصة في قصته الشهيرة « الجرذان والرجال » التي ضمنها شتاينيك هدفا من أهدافه الأساسية وهو حين الانسان الخالص للسلام والصفاء وتتلخص هذه القصة في حلم صديقين في كسب مبلغ من المال يمكنهما من شراء مزرعة صغيرة حتى يستقلا بعيشهما . وتنتهي نهاية أليمة لأن أقوى الصديقين يضطر مصادفة الى قتل امرأة فيضطر صديقه الآخر الى قتله بالرصاص حتى يفلت من المحاكمة . وروعة هذه القصة تتركز في التوازن الدقيق بين ارادة الصديقين الحرة وقوة الظروف المحيطة بهما . وهذا التوازن يحدث في نفس القارئ خليطا عجيبا من أحاسيس الخوف والشفقة التي تحدثها المأساة دائما في نفوسنا .

وتأتى بعد ذلك أنجح قصصه جميعا وقد نشرها
عام ١٩٣٩ وهى كروم الغضب The Grapes of Wrath
وهى أنجح قصصه لأنها أثارت اهتمام المسؤولين بها وساعدت
بصورة عملية على اتخاذ الوسائل لاصلاح حال العمال المهاجرين
فى كاليفورنيا . وقد ربط التقارب بين هذه القصة وبين القصة
الشهيرة « كوخ العم توم » الذى ساعدت على قيام حركة
تحرير العبيد فى أمريكا . وقصة شتاينبك هذه تعالج عاملين
اقتصاديين كان لهما أهمية كبرى فى أمريكا فى ثلاثينيات هذا
القرن وهما أثر العواصف الرملية على الزراعة فى أكلاهوما
ومشكلة الفقر بين العمال الذين يصلون كاليفورنيا وتشير
القصة الآن مشكلة من أعقد مشاكل النقد الأدبى . فقد
استطاع المسئولون أن يعالجوا هاتين المشكلتين بصورة
فعالة . فهل يعنى هذا ان القصة تفقد أثرها بعد أن فقد
موضوعها هذا الأثر ؟ جوابنا على ذلك انه اذا كان للقصة
من أثر فى نفوس القراء اليوم فلا بد ان هذا راجع الى عوامل
لا تتصل بالظروف الاقتصادية والسياسية التى عالجتها .
اننا يجب أن نبحث عن عناصر أكثر خلودا وأكثر عالمية من
كل هذا وسنجده فى تلك المعايير الخاصة التى تنادى بها
القصة عن الوعى الجماعى وطاقة الفرد فى مواجهة صعوبات
لا يمكن وصفها ثم نجده فى قدرة شتاينبك على خلق جو
عام عن طريق عرض مشاهد متتابعة .

ثم قامت الحرب العالمية الأخيرة وكان الكتاب الأمريكيون على عكس قرنائهم من كتاب القارة الأوربية يتمتعون أول الأمر بهدوء واستقرار نسبي ، ولكن الأحداث التي كانت تجرى على الجانب الآخر من العالم هزت مشاعرهم ومن بينهم شتاينيك فانتقل من معالجة مشاهد الحياة الاقليمية الى تسجيل صفحة من صفحات ذلك الصراع الدموي الدائر في العالم الأوربي في قصة أسماها « في مغيب القمر » (١٩٤٢) . ولكي يعطي شتاينيك لقصته طابعا عالميا لم يشأ أن يحدد المكان الذي تجرى فيه الأحداث . وان كنا نستطيع أن نحدد ذلك بأنفسنا فالبلد المحتل هو النرويج والغزاة هم الألمان النازيون . وقد اعتبرت هذه القصة عند ظهورها أقوى قصة كتبت أثناء الحرب لتستحث الدول الديمقراطية الصغيرة على مواجهة العدوان والاحتلال الدكتاتوري . ووجد منها القراء في هذه الفترة العصبية بعض الغزاة يلجأون اليه وهم مدحورون مهزومون . وقد استقبل الأوربيون هذه القصة بحماسة عظيمة لأنهم كانوا يستطيعون أن يكملوا تفاصيلها بتجاربهم الشخصية وأن يترجموا آراء شتاينيك على ضوء الواقع القاسي الذي مر بهم . وهكذا قدم لهم شتاينيك لونا من الايمان كانوا في ميسس الحاجة اليه في تلك الفترة . ولم يكن هذا الايمان عقيدة مستمدة من الكتب أو التقاليد قدر ما هو ايمان نابغ من الانسان فهو يعمل على تحقيقه وتفهمه بالخبرة والتجريب .

الجانب العالمى فى قصة « فى مغيب لقمير » :

ان موقف الناقد من هذه الرواية يشبه الى حد كبير موقفه من قصة « كروم الغضب » فالانسان لا يستطيع أن يحكم على القصة مستقلة عن الظروف الواقعية التى تحيط بها . لقد لعبت هذه القصة كما سبق أن أشرنا دورا هاما فى تحريك المشاعر أثناء الحرب العالمية الأخيرة ولكن ماذا يكون موقفنا منها بعد ان وضعت الحرب أوزارها ؟ هل نقرأها اليوم كوثيقة من وثائق الحرب الماضية ؟ وهل ندرسها كنموذج للإنتاج الأدبى فى فترة من الفترات المضطربة التى مرت بها الحضارة الانسانية . أى هل نقرأها كأدب مناسبات ؟ أم نقرأها كأدب عالمى لا يتقيد بفترة من الزمن أو مواقع من التاريخ . اننا نهتم بهذه المشكلة لأنها ليست مشكلة قصتنا هذه وحدها ولا هى مشكلة أدينا هذا وحده انما هى مشكلة هذا النوع من الأدب جميعه . انها مشكلة الكثيرين من أدباء الشرق والغرب على السواء . فالأدب الذى يتعرض لمشاكل طارئة ويحاول أن يضع لها الحلول ، مثل هذا الأدب يتعرض دائما للاهمال والنسيان بعد أن تحل المشكلة أو تلقى عليها ستائر النسيان . وأدب كهذا لا يعيش ولا يخلد الا اذا تضمن عناصر وقيما فكرية وفنية تتخطى قيود الزمان والمكان . والأديب الناجح يدرك دائما هذه الحقيقة . وهذا ما فعله شتاينبك فقصصه الهادفة تحمل فى ثناياها معانى انسانية عامة

باقية تضمن لها الخلود وانتشار الأثر . وقد تختلف هذه القصص جميعا سواء ما كتبه قبل قصتنا هذه « في مغيب القمر » أو بعدها ، قد يختلف بعضها عن بعضها في أحداثها ونعوماتها ومشاهدها وطريقة عرضها ولكنها تتفق في تأكيدها لشيء واحد هو ما يمكن أن نسميه بمذهب شتاينيك أو فلسفته التي تؤكد حرية الفرد وكرامته في ظل الوعي الجماعي .

ولكن هذه الفلسفة وحدها ليست الشيء الخالد الباقي في هذه القصة التي تقدمها اليوم . فقد شاء شتاينيك أن يكسبها طابعا أكثر عالمية حينما جعل منها أكثر من مجرد قصة واقعية تمثل صراعا بين جيش غاز وشعب محتل . لقد نجح شتاينيك أن يجعل قصته قصة صراع بين معايير ومذاهب عالمية . انها صراع بين نظام الديمقراطية الذي يؤمن بحرية الفرد وذاتيته والنظام الدكتاتوري الذي يحق حرية الفرد وذاتيته .

والديمقراطية عند شتاينيك أعظم من مجرد نظام سياسي خاص أو طريقة لتنظيم الحكومات أو سن القوانين عن طريق الانتخاب . انها شيء من هذا بكل تأكيد ولكنها في معناها الواسع أكثر عمقا وأكثر من هذا جميعه فهي نظام للحياة الاجتماعية والفردية . وروح الديمقراطية كنظام للحياة تقتضى مشاركة كل فرد في تكوين المعايير التي تنظم حياته مع غيره من الناس . هذه المعايير في ذاتها ضرورة للرفاهية الاجتماعية والتطور الكامل لأعضاء المجتمع كأفراد .

وهكذا نرى العمدة أوردن في هذه الرواية . فهو الحاكم الديمقراطي الذي يؤمن بروح الديمقراطية كما شرحناها : —
« لقد استمر العمدة في وظيفته هذه مدة طويلة حتى لقد أصبح يمثل في أذهان البلدة المعنى المجرد للعمودية . حتى شيوخ البلدة كانوا يمثلون العمدة أوردن في أذهانهم ان هم رأوا كلمة العمدة مطبوعة أو مكتوبة . وكان هو ومنصبه يكونان وحدة فقد أضفى عليه منصبه الجلال وأضفى هو على منصبه الحياة » ولكن هذا العمدة الذي يتمتع بكل هذه السلطة والمحبة والاحلال يدرك تماما ان ذلك مستمد من ارادة أهل البلدة فيقول لقائد جيش الاحتلال . « سيدي اننى فرد من هؤلاء القوم .. ان بعض الناس يقبلون القواد ويطيعونهم ولكن قومي اتخبونى . انهم بيدهم جعلوا منى عمدتهم ويستطيعون بيدهم أن يزيلونى عن منصبى ، ولعلمهم يفعلون ذلك اذا ظنوا اننى أحالفكم .. » .

هذا ولا شك يتمشى مع أبسط قواعد الديمقراطية التى تعلن انه لا يوجد انسان أو مجموعة من الناس لهم من الحكمة ورجاحة العقل ما يخول لهم حكم الآخرين دون موافقتهم .

ويستعين شتاينيك كثيرا بالمقابلة بين المواقف ليؤكد مذهبه ففى الوقت الذى يدين فيه الشعب المحتل بهذه الروح الديمقراطية نرى بعض أفراد الغزاة ممن ربوا على النظام

الدكتاتورى يؤمنون بأن الذكاء قاصر على قلة ممتازة من الناس خولت لهم مواهبهم الطبيعية حق قيادة الآخرين وتوجيههم وسن القوانين واللوائح التى تساعدهم على الاطلاع بأعبائهم . وقد اختار المؤلف شخصيتين يبرز من خلالهما هذا الاتجاه هما الملازمان پراكل وتوندر ويقدمهما بقوله : « أما الملازمان پراكل وتوندر فقد كانا طالبين ما زالوا بالجامعة دارسين للنظريات السياسية العصرية ، مؤمنين أن النظام الجديد قد أقامه عبقرى فهو من الضخامة بحيث لا يكلفان نفسيهما عناء البحث فى نتائجه » .

والايمان بالمساواة من أهم مقومات العقيدة الديمقراطية ولكن هذه المساواة لا تشمل المواهب الطبيعية . فالناس يتفاوتون فى مستوياتهم العقلية والفكرية وان كانوا يتساوون فى الحقوق والواجبات . فالديمقراطية اذن ايمان بالفرد العادى . ولعل هذا الايمان هو الذى جعل شتاينبك يتخير شخصياته أناسا عاديين . بل وقد ينزل بعضهم الى درك الغباء . فزوج العمدة تظل الى آخر الرواية لا تدرك ما يجرى حولها بل انها لا تعرف أكثر من الجوانب السطحية فى شخصية زوجها . وهذا ما يقوله المؤلف عنها « .. ولعلها لم تفهمه (يعنى زوجها) تماما الا مرة واحدة أو مرتين فى حياتها جميعا ، ولكن الجوانب التى تفهمها فيه تفهمها بالتفصيل . فلا يغيب عنها أى نقص مهما يكن تافها فى شهيته

كما لا يفوتها أى مظهر من مظاهر ألمه أو اهماله أو أنانيته ولكن ذهنها لم يصل بها أبد الى أفكاره أو أحلامه أو أمانيه» ولم يشأ المؤلف أن يجردها تماما من التبصر فاستدرك قائلا « وان كانت فى لحظات من حياتها استطاعت أن ترى وميضاً من داخل نفسه » . ثم هناك جوزيف الخادم الذى يتمتع بقدر كبير من الغباء .

ولكن رغم هذا التفاوت فى درجات الذكاء فان كل فرد يستطيع فى نظر الديمقراطية أن يؤدى شيئاً نحو الآخرين وقد استعان المؤلف بالأزمة التى كانت تمر بها البلدة ليوضح الى أى مدى يصدق ذلك الرأى . فالخادم جوزيف العبى يقاوم الغزاة ويتلصص على أخبارهم فيقول عنه المؤلف . « لقد أصبح جوزيف ذا رأى أخيراً .. » .

وأنى تسترق السمع وتحمل الرسائل وتدلف فى الظلام دون أن يراها أحد بل إن العمدة وهو ذاهب الى حتفه يوصيها أن تكون الى جانب سيدتها وقت الحاجة « أنى أريد أن تبقى مع السيدة طالما احتاجت اليك . لا تتركها وحدها » .

والقصة الى جانب تصويرها لنظامين من نظم الحياة الاجتماعية والسياسية تتناول أيضا جوانب أخلاقية انسانية . فالكتاب مثلا يحاول أن يثبت مدى استحالة قيام شىء من العدالة المطلقة بين الغالب والمغلوب . ويتمثل ذلك فى حوادث

القتل التي جرت من الجانبين وقد لخصها العمدة أوردن في قوله أثناء محاكمة أحد المواطنين لقتله ضابطا من جيوش الاحتلال . « أنا العمدة ، لا أملك أن أصدر حكم الأعدام ، بل ان أحدا في هذه البلدة لا يملك هذا الحق فاذا أصدرت هذا الحكم خرجت على القانون كما تخرجون أتم عليه .. لقد قتلتم منا ستة رجال في أول قدومكم وطبقا لقانوننا أتم متهمون بجريمة القتل ، جميعكم بلا استثناء . فما اهتمامكم بتلك الخرافات القانونية أيها الكولونيل . انه لا مكان للقانون بيننا . انما هي الحرب . ألا تعلم انك ستضطر الى قتلنا جميعا أو اننا نحن سنضطر الى قتلكم جميعا اذا حانت الفرصة . لقد حطمت القانون بمجيئكم وأحللتكم مكانه قانوننا آخر .. » .

ولم تترك القصة الحروب الحديثة دون أن تندد بها فهي تقول عنها انها خلو من كل ما هو نبيل ، وهي قد جعلت من الانسان آلة تسير مع عقارب الساعة وجرده من روحه وما يرفعه عن مستوى الوحوش . لقد جعلت منه ذبابا يغزو مصايد الذباب .

وللقصة أثر خاص في البلاد المحتلة أو حديثة العهد بالاحتلال ولكنه أثر عاطفي يضعف بزوال المؤثر لأنه يرتبط الى حد كبير بالمناسبة التي تثيره .

شتاينيك والمذهب الواقعي :

من العسير علينا أن نحدد الواقعية تحديدا قاطعا يشمل اتجاهاتنا وتفريعاتها في الفن والأدب فالفنانون جميعا يستمدون موضوعاتهم من منبع واحد وكلهم يعالجون الحياة في صورة من صورها . كلما أعطونا احساسا بحقائق الأشياء صاروا واقعيين . فمن يستطيع أن يقول ان كاتب واقعا مثل أميل زولا مثلا يعطينا احساسا أصدق بالحياة من كاتب خيالي كشكسبير .

والواقعية في معناها المعروف تعنى ذلك التصوير الحرفي للأشياء فتجلوها كما هي قائمة في العالم الطبيعي دون حذف أو اضافة . والكاتب الذي يأخذ بهذا اللون من الواقعية يتناول قطاعا من الحياة ويصفه وصفا موضوعيا دقيقا . ولكن هذا النوع من الأدب سرعان ما فقد أثره في نفوس القراء لأن الفنان فيه يتوارى تماما وراء صورة من الحياة نعرفها دون حاجة الى القراءة عنها . لقد خرج هذا اللون من الأدب الواقعي مملا سطحيا لا يحرك خيالنا ولا يثير انفعالاتنا وقد تحقق الأدباء أنفسهم من فشل هذا التصوير الحرفي للحياة وآمنوا بأن الفن تهذيب للحياة وتشويق واثارة واقتنعوا بأن وظيفة الأدب اليوم وان كانت تتصل اتصالا وثيقا بمعرفة الحق أو الواقع فان الكاتب بادراكه الداخلي يجب أن يحاول صهر هذا الواقع واعادة تشكيله بما ينفق

وأهدافه الخاصة ومدى فهمه للحياة . ان عملية الخلق تتركز في صراع الفنان المرير بين الواقع الذي يعيش فيه وبين محاولته العنيفة في خلق صور صادقة للعالم . انه يستعمل خياله لإعادة بناء التجارب التي تمر به وتشكيلها ولكنه في الوقت نفسه يظل مرتبطا بواقع الحياة . وهدف الواقعية في هذه الحالة هو أن تحمل الى القارىء احساسا قويا بالعناصر الملموسة في تجاربه في نطاق حياته العادية المألوفة . ولا يهم أن تكون هذه الصور مألوفة أو مثيرة ، قبيحة أو جميلة ما دامت تؤدي اليها الاجساس الجوهرى بواقع الأشياء .

هذا اللون من الواقعية هو الذى يدين به شتاينبك ويجعل منه منهجا له في تأليفه الأدبى فهو يبدأ بالمألوف من الأشياء . فيصف من أحداث ملموسة فصلا بأكمله يصور فيه بطريقة واقعية مألوفة مواقف تدور حول أبطال من أناس لا يختلفون عن أوساط الناس فى شىء .

فهناك العمدة الذى ينتقل من موقف مضطرب متردد الى موقف بطولة هادئة ، وهناك زوجته التى لا تفهم موقفا أبدا ، وهناك عمال المنجم المواطنين المسلمون الذين يقاومون فى بظء وهدوء وعناد ، وهناك التاجر الذى يخون بلده ، والشابة التى يقتل الأعداء زوجها فتقتل ضابطا منهم حين يحاول أن يغازلها . وفى الجانب الآخر نجد القائد المجرب الذى يعرف أن حملتهم فاشلة ولكنه يتقيد بواجبه ، ثم نجد هؤلاء

المتعصبين من الضباط الذين يدارون خوفهم الذى يعمر قلوبهم وراء ستار من القسوة التى لا تحتل ، ثم يتعلمون فى النهاية ان الانسان بقوته الوحشية المادية لا يستطيع أن يهزم الأفكار والمبادئ .

هذا النوع من الواقعية يرجع - أهم ما يرجع - الى قيام الديمقراطية والايان بقيمة الفرد وذاتيته .

ولا تنتهى واقعية شتاينبك عند اختياره للموضوع أو الشخصيات بل انها تتمثل أيضا فى اهتمامه بالدقائق والتفاصيل عند وصفه للأحداث أو الأشخاص .

والاهتمام بالتفاصيل أساس من أسس المذهب الواقعى . فاذا هو قدم شخصية وصف لنا فى سرعة كل دقائقها .. من طولها الى عرضها الى سننها الى ماضيها وحاضرها الى ما يمكن أن يصل بها مستقبلها بل انه لا يفوته أن يرسم خلجاتها ومقوماتها النفسية ، ففى ومضة خاطفة يقدم لنا أحد الضباط بقوله « وخطا الضابط الى الداخل وألقى نظرة الى الدكتور ويتتر ، كان يبدو كصورة مبالغ فيها لسيد انجليزى ، كان مترهل الجسم ، أحمر الوجه طويل الأتف فى غير اسراف وكان يبدو عليه الشقاء فى زيه ، شأنه فى ذلك شأن معظم الجنرالات البريطانيين » .

وبنفس الطريقة يصف لنا مثلا غرفة العمدة « وقد كانت حجرة الاستقبال فى القصر أنيقة مريحة ، فالكراسى الذهبية

مغطاة بكسوتها البالية متخذة أماكنها في جمود ، كما لو كانت
كثرة من الخدم لا تجد شيئا تفعله . والمدفأة ذات العقد
الرخامي تحتضن سلة من الوقود الأحمر المتوهج في غير
اشتعال وقد اتخذ وعاء الفحم مكانه من رحبة المدفأة » .

ولعل القارئ وهو يقرأ هذا الوصف يحس في جمل
المؤلف ذات الفواصل القصيرة ما يرمى إليه من انه يصف
الشيء كأنما يراه بنظرة واحدة أو على الأصح كأنما هو
يراه من خلال عدسة الكاميرا السينمائية .

ولكن هذه الواقعية ليست واقعية حرفية ، بل إن التفاصيل
التي يقدمها شتاينبك لا يقدمها لقيمتها الذاتية كما يفعل
الكاتب الواقعي الخالص بل هو يستعين بالوصف الواقعي
لخلق الجو واثارة حالة مزاجية معينة في نفس القارئ . انه
لا يعطينا صورة كاملة للواقع بل هو يختزل هذا الواقع
ليوضح في جلاء وتركيز أحداثا يريد ايضاحها لتبلور فكرة
ترتبط بالمثل الأعلى للحرية والكرامة الشخصية .

ولم يتوخ شتاينبك الواقعية الدقيقة في عرضه لشخصياته
أيضا رغم ان هذه الشخصيات – كما أسلفنا – من أوساط
الناس . ولكننا لا نعرف كل شيء عنها بل ان ما نعرفه عن
حاضرها وماضيها له اتصال قريب أو بعيد بالأحداث الدائرة
يتأثر بها أو يؤثر فيها .

وتأكيدا لفكرة الاتصال الوثيق بين الانسان والظروف

المحيطة به ، نرى شتاينبك يبدأ فصوله دائما بوصف دقيق للمكان الذي تجرى فيه الأحداث بل انه يربط كثيرا بين هذا المكان وروح هذه الأحداث . ففكرة الموت التي تسرى في ثنايا الأحداث تزداد وضوحا في وصفه لجو الشتاء وأثره في مظهر البلدة الخارجى . وشتاينبك في تأليفه للقصة أشبه بالكاتب المسرحى الذى يصف المنظر ثم يترك الأشخاص بعد ذلك يتحدثون ويعملون . فالمؤلف يمزج مزجا واضحا بين العرض القصصى والعرض المسرحى . فهو يصف كقصاص مسرح الأحداث ثم يختفى هو ويترك المسرح لشخصياته تمشى وتتكلم وتعمل دون تدخل منه ، فان تدخل كان ذلك بطريقة خفية فهو يوحى الى أحد أشخاص قصته فيقول عنه ما يدور بنفسه هو .

ومن الخصائص المسرحية في القصة أيضا غلبة العرض المباشر والحوار المباشر على العرض الروائى أو الحوار المنقول . وهناك أيضا وحدة المكان فمعظم فصول القصة تجرى بين غرف بيت واحد هو قصر العمدة . وعلى الطريقة المسرحية نجده يصف المظاهر الأخرى من حجرات هذا القصر على لسان أشخاص يعيشون فيه .

والطابع السينمائى غالب أيضا في عرض القصة ويتمثل في الأوصاف السريعة المتلاحقة التى يقدمها المؤلف أحيانا وكانما هو يجول بعدسة الكاميرا السينمائية ليصور هذه

المناظر والأحداث ، ومطلع القصة خير مثال على ذلك فهو في
فقرة واحدة يومض لنا بصور متلاحقة عن اختلال البلدة :
« انها صبيحة يوم الأحد وقد خرج ساعي البريد ورجل
الشرطة يصيدان السمك في القارب الذي يملكه التاجر
المحبوب المستر كوريل .. ولقد كان ساعي البريد والشرطي
على مبعدة عدة أميال في البحر حينما أبصرا تلك الناقلة
الصغيرة القائمة تعبرهم في هدوء وهي محملة بالجنود .
ولما كانا موظفا البلدة .. اتجها من فورهما اليها ولكن المحتل
كان قد استولى على الشكنات قبل أن يصل الموظفان الى
الميناء » .. وكانت أفراد القوات المحلية .. قد سمعوا أزيز
الطائرات ، ثم أبصروا عن بعد جنود المظلات يهبطون فحفوا
الى البلدة وحين بلغوها وجدوا المحتل قد قطع دونهم الطريق
بمدافعه .. » . « وفي منتصف الحادية عشرة كانت فرقة
الموسيقى التابعة لقوات الاحتلال تعزف ألحانا عاطفية جميلة
في ميدان البلدة بينما وقف رجال البلدة وقد انفرجت أفواههم
قليلًا واتسعت حدقاتهم من الدهش يستمعون الى الموسيقى
ويحملقون الى الرجال ذوي الخوذات الرمادية يحملون
المدافع الرشاشة في أذرعهم » . « وفي الحادية عشر الا ربع
كان أوردن العمدة العجوز قد تسلم طلبا رسميا أن يتفضل
فيسمح بالمقابلة للكولونيل لا نسر قائد قوات الاحتلال » ..
هذه المشاهد المتلاحقة تحقق غرضين أحدهما اظهار

السرعة التي تم بها احتلال البلدة ثم هي من الوجة الفنية مشاهد سينمائية متتابعة ، وكأنما أراد شتاينيك بقصته أن تكون رواية ومسرحية وفيلما وقد كانت فعلا هذه الأشياء جميعا .

شخصيات القصة :

يستطيع القصاص أن يعرض أفكاره اما عن طريق الشخصيات أو عن طريق الأحداث أو عن طريقهما معا . وفي الحالة الأولى يلقي الاهتمام كله الى شخصياته يحللها ويجعل الأحداث ثانوية بالنسبة اليها ، وفي الحالة الثانية يحدث عكس ذلك ، أما في الحالة الثالثة فهو يعادل في الأهمية بين المواقف والأشخاص . وقد اختار شتاينيك الطريقة الأولى — على ما يبدو لنا — لعرض هذه القصة . فالقصة في نظرنا تتبع من الشخصيات بل ان الشخصيات وحدها هي التي تحدد مجرى القصة فهي المسئولة عن قيام هذه الأحداث ، بعض هذه الشخصيات مضطر الى أداء عمله ، كما هو الحال بالنسبة الى قوات الاحتلال ، وبعضها مخير فيما يقدم عليه من أعمال كما هو الحال بالنسبة لأفراد الشعب المحتل . ولا نغنى بهذا أن الأحداث لا تعنى شيئا لأننا لا نستطيع أن نفهم الشخصيات فهما كاملا من غير الأحداث التي تدور بيديها . ولهذا كان من الصعب علينا أن نحلل الشخصيات خارج اطارها الزمني والمكاني من الأحداث ولكن ما نريد أن نقوله هو ان القصة تكاد تختفي وراء الشخصيات .

وشتاينيك كثيرا ما يوقف مجرى القصة كي يصف شخصياته كما فعل في بداية الفصل الثاني عندما استعرض لنا هيئة أركان الحرب فردا فردا . ولعل من وسائله في عرض معالم الشخصية أن يوضح لنا موقف هذه الشخصية من نفسها عن طريق تصوير موقفها من غيرها من الناس أو من الأحداث الدائرة . وإذا وقع حدث من الأحداث لم يهتم بهذا الحدث لذاته ، بل انه ينتقل من شخصية الى شخصية محللا أثر هذا الحدث في نفس كل منها وبهذا يلقي عليها ضوءا جديدا .

ان ما نقرأه ليس مجرد قصة حافلة بأحداث البطولة والمواقف المشيرة ولكننا نقرأ عن جماعة من الناس وجدوا في موقف معين فاستجابوا له استجابات معينة وتختلف المواقف فتختلف الاستجابات .

واننا لتردد قليلا قبل أن نتخير بطل هذه القصة فالبطولة تنقاسمها شخصيتان هما العمدة أوردن والكولونيل لانسر قائد جيش الاحتلال . وإذا كان الحكم لانفعالاتنا القومية والوطنية في اختيار البطل كان العمدة أوردن – ولا شك – هو ذلك البطل ، ولكننا اذا حكمنا القواعد الفنية والأدبية كان لانسر هو البطل . ولما كنا في عرضنا هذا نستهدف الفن أكثر مما نستهدف العاطفة فاننا سنبدأ بلانسر كبطل لهذه القصة .

لم يصور شتاينيك لانسر كقائد فظ غليظ القلب مجرد من العاطفة ، بل أراد أن يكون صورة لمأساة الفرد في مجتمع استبدادي . انه الرجل يعمل وهو لا يؤمن بما يعمل . فكثيرا ما يتركه المؤلف يقول كلاما يعتبر خيانة لجيشه وبلده وزعيمه ولكن ما أن تحين ساعة العمل حتى يتجرد من عواطفه جميعها ويصبح الجندي الآلة الذي ينفذ ما يصدر اليه من أوامر . كان يدرك منذ اللحظة الأولى أن التعاون مع أفراد الشعب أمر محال وكان يحتقر التاجر الذي خان وطنه رغم انه عاونهم فيصبح به : « انك حتى لن تنال احترامنا » . ثم هو يقول : « ليس هناك قوم مسالمين .. وليس هناك شعب صديق فقد احتلنا هذه البلاد ، وأنت — بما يسمونه خيانة — هيأت لهذا الاحتلال .. اننا في حرب مع هذا الشعب » :

وكانت للانسر من خبراته في الحرب السابقة ما يؤكد له سخافة المحاولات التي يقوم بها جيش بلاده لاحتلال العالم .

ولعل أجمل مواقف الرواية كلها بالنسبة الى الكولونيل لانسر هو ذلك الموقف الذي جمع فيه المؤلف بينه وبين العمدة أوردن والدكتور وينتر في الفصل الأخير من القصة وجعلهم يرددون أقوالا لسقراط . لقد نسوا في هذه اللحظة انهم أعداء وان لانسر حكم على العمدة بالموت فقد جمعهم سقراط كبشر يجمعهم العالم كله ، ورجال مثقفين أو كرجال

تمتد مدنيّتهم الى أصل واحد نبع في بلاد الاغريق القديمة .
ثم سرعان ما تنحسر هذه اللحظة النورانية عن لانسر فيرنه
الى الواقع ويخاطب أوردن بوصفه قائد جيش الاحتلال
آمرًا مهددا .

أما العمدة فتتطور شخصيته من السلبية والارتباك الى
العمل الايجابي ثم الى موقف البطولة في النهاية . ولعل
العمدة وهو الشخصية الوحيدة التي تتطور بالرواية من
الواقعية المألوفة التي ابتدأت بها الى سوامق فلسفية عالمية
تبلغ قمتها عند ترديدها لأقوال سقراط .

وهناك أفراد جيش الاحتلال . لقد شاء المؤلف أن يصور
مأساتهم أيضا . انها مأساة الشباب الذي تدرب على النصر
ولم يتدرب على مواجهة الهزيمة . وقد لخصها لانسر تلخيصا
مريرا في قوله مخاطبا أحد ضباطه : « والآن سألقى اليك
بحديث أرجو أن تفهمه .. أنت لم تعد رجلا .. انك جندي ..
ان راحتك لا أهمية لها بل ان حياتك ليست بذات أهمية
كبيرة يا أيها الملازم .. ان عليك أن تتلقى الأوامر فتنفذها ،
ستكون أغلب الأوامر غير سارة ولكن ليس هذا من شأنك ،
لن أكذبك أيها الملازم .. كان لا بد أن يعدوك لهذا .
لا للطرق المفضلة بالأزهار .. كان يجب أن يبنوا روحك
على الحقائق ولا يخدعوها بالأكاذيب » ولعل هذا القول
لا يكشف عن مأساة صغار الضباط فحسب ، بل انه يكشف

عن مأساة لانسر نفسه ومأساة كل فرد في فترات الحروب
أو في المجتمع الآلى الحديث بأجمعه . وتصوير شتاينيك
لحالة هؤلاء الضباط في الفصل الخامس من الرواية من
أروع الصور النفسية التي يمكن لكاتب أن يرسمها .

عبر الله البشير — ثروت أباطه



بلغت الساعة الحادية عشر الا الربع ، وكان كل شيء قد انتهى فالبلدة قد احتلت ، والمدافعون قد انهزموا ، والحرب قد وضعت أوزارها . فقد عنى المحتل بهذه الحملة كما لو كان يعد لحملة أكثر ضخامة من حملته تلك .

انها صبيحة يوم الأحد وقد خرج ساعى البريد ورجل الشرطة يصيدان السمك فى القارب الذى يملكه التاجر المحبوب المستر كوريل . لقد أعارهما قاربه الشراعى الأنيق ليصيذا به فى يومهما هذا . ولقد كان ساعى البريد والشرطى على مبعدة عدة أميال فى البحر حين أبصرا تلك الناقلة الصغيرة القادمة تعبر بهم فى هدوء وهى محملة بالجنود ، ولما كانا موظفا البلدة فقد كان هذا من صميم عملهما بلا ريب وهكذا اتجها من فورهما الى البلدة ، ولكن المحتل كان قد

استولى على الثكنات قبل أن يصل الموظفان الى الميناء ،
وهكذا لم يتمكن الشرطى ولا ساعى البريد أن يدخلوا حتى
الى مكنتيهما فى دار البلدية ، وحينما أصرا على حقهما فى
الدخول قبض عليهما كأسيرى حرب وسجنا فى سجن البلدة .

وكان المستر كوريل التاجر المحبوب قد دعا القوات
المحلية الى القيام بمسابقة فى الرماية وزودهم بالغذاء ،
ومعدات المسابقة ، من أهداف وبارود وجوائز ، وقد اختار
لها مكانا ، غابته الوارفة الواقعة على مبعده ستة أميال من
وراء التلال ، وهكذا كانت القوات المحلية جميعها ، التى
يبلغ عددها اثنى عشر جنديا ، خارج البلدة أيضا فى صبيحة
هذا الأحد نفسه .

وقد كانت القوات المحلية مكونة من فتیان ضخام
الأجسام فارعى الطول وقد سمعوا أزيز الطائرات ثم أبصروا
عن بعد جنود المظلات يهبطون فحفوا الى البلدة وحين بلغوها
وجدوا المحتل قد قطع دونهم الطريق بمدافعه .

وقد كان الجنود الفارعو الطول على خبرة ضئيلة
بالحرب وعلى جهل تام بالهزائم وهكذا أطلقوا النار من
بنادقهم ، فأرعدت المدافع هنيهة ، فاذا ستة من الجنود قتلى
اختلطت أجسامهم فى كومة واحدة ، واذا ثلاثة آخرون على
شفا الموت مشوهون بينما انقلت الثلاثة الباقون الى التلال
يحملون بنادقهم .

وفى منتصف الحادية عشر كانت فرقة الموسيقى النحاسية

التابعة لقوات الاحتلال تعزف ألحانا عاطفية جميلة في ميدان
البلدة بينما وقف رجال البلدة وقد انفجرت أفواههم قليلا
واتسعت حدقاتهم من الدهش يستمعون الى الموسيقى ،
ويحملون في الرجال ذوى الخوذات الرمادية يحملون المدافع
الرشاشة في أذرعهم .

وفي العاشرة وثمان وثلاثين دقيقة ، كانت كومة الجنود
السته قد دفنت ، وكانت المظلات قد طويت ، وكانت القوة قد
اتخذت من مخزن المستر كوريل مأوى لها ، حيث كانت
أغظيتهم قد أخذت مكانها على أرفف المخزن وحيث هيئت
لهم السرر .

وفي الحادية عشرة الا ربع ، كان « أوردن » العمدة
العجوز قد تسلم طلبا رسميا أن يتفضل فيسمح بالمقابلة
للكولونيل لانسر قائد قوات الاحتلال ، وقد حدد الطلب
الرسمى الزمان فهو الحادية عشرة تماما ، والمكان فهو قصر
العمدة ذو الحجرات الخمس .

وقد كانت حجرة الاستقبال في القصر أنيقة مريحة ،
فالكراسى الذهبية مغطاة بكسوتها البالية متخذة أماكنها في
جمود كما لو كانت كثرة من الخدم لا تجد شيئا تفعله .
والمدفأة ذات العقد الرخامى تحتضن سلة من الوقود الأحمر
المتوهج في غير اشتعال ، وقد اتخذ وعاء الفحم مكانه من
رحبة المدفأة ، ووقفت على الرف ساعة كبيرة من الصينى
المموج زخرفت بالملائكة الهابطة وحجبت بالمزاهر الضخمة ،

وكان ورق الحائط قاني الاحمرار محلى برسومات ذهبية .
أما الزخارف الخشبية البيضاء فقد كانت جميلة ونظيفة .
أما اللوحات على الحائط فقد كان معظمها يصور مواقف
البطولة الرائعة للكلاب الضخمة وهي تنقذ الأطفال من أخطار
تهددهم ، فلا الماء ولا النار ولا الزلازل بمستطاعة أن تنال
شيئا من الطفل ما دام الى جانبه كلب ضخم .

وكان الدكتور « وينتر » العجوز مؤرخ القرية وطبيبا
جالسا الى جانب المدفأة بذقنه وبساطته وسماحته ، يرقب
في ذهول ، ابهاميه وقد أخذتا تدوران وتدوران بينما اشتبكت
يداه على حجره . وكان الدكتور وينتر بسيطا لا يكشف
عمقه الا رجل عميق . رفع الدكتور وينتر نظره الى جوزيف
خادم العمدة ليرى ان كان يعجب لحركة ابهاميه الدائرية .

ثم ألقى سؤاله « الحادية عشرة ؟ » فأجاب جوزيف
شاردا : « نعم يا سيدي ، لقد حددت الرسالة الحادية عشرة » .
— هل قرأت الرسالة ؟

— لا يا سيدي ، ان سعادته قرأها لي .

وراح جوزيف يفحص الكراسي المذهبة ليرى ان كانت
قد تحركت عن موضعها الذي تركها فيه آخر مرة ، وقد اعتاد
جوزيف أن يسب الأثاث مرتين في يومه اما وقح أو خبيث
أو مغبر ، فان عالما يكون فيه العمدة قائدا للرجال ، يحق
فيه لجوزيف أن يكون قائدا للأثاث والأدوات الفضية
والأطباق .

وقد كان جوزيف كهلا ضامرا ، جادا ، معقدا في حياته
لا يكشف بساطته الا رجل عميق . لم ير جوزيف ما يثير
الدهشة في حركة ابهامى الدكتور وينتر الدائرية أو هو في
الحقيقة كان يرى فيها ما يثير الأعصاب .. كان جوزيف يعتقد
أن شيئا على جانب من الأهمية يحدث في هذه الأثناء : فقد
كان الجنود الأجانب في البلدة ورجال الجيش المحلى يقتلون
أو يعتقلون ، وعلى كل حال فان جوزيف - طال الوقت
أم قصر - لا بد له أن يكون لنفسه رأيا عن كل هذه
الأمور ، فهو لا يقبل الرعونة ، ولا الابهامات الدائرة ،
ولا العبث بين الأثاث .

وحرك الدكتور وينتر كرسيه بضع بوصات عن مكانه
المحدد ، فأخذ جوزيف يترقب - في غير صبر - اللحظة
التي يستطيع فيها أن يعيد الكرسي الى مكانه وأعاد الدكتور
وينتر قوله « الحادية عشر ، وسيكونون هنا أيضا ، انهم
قوم يقدرون الوقت قدره يا جوزيف » .

وقال جوزيف دون أن يسمع ما كان يقال « نعم ياسيدى »
وأعاد الدكتور قوله « يقدرون الوقت قدره » وقال جوزيف
« نعم يا سيدى » .

- الوقت والاله .

- نعم يا سيدى .

- انهم يسارعون الى مصيرهم كأنما مصيرهم لن ينتظر ،
انهم يدفعون الأرض الدائرة بأكتافهم ليزيدوا من دورانها .

فقال جوزيف « انت محق تماما يا سيدى » فقد ملّ
جوزيف تكراره لنفس الجملة « نعم يا سيدى » .
لم يكن جوزيف موافقا على هذه الطريقة فى الحديث ،
فهى لا تسمح له أن يكون لنفسه رأيا عن أى شىء . فلو انه
قال للطاهية آخر النهار « قوم يقدرون الوقت قدره
يا آنى » لما كان لكلامه معنى على الاطلاق ، وسوف تسأله
آنى « من ؟ » ثم « لماذا ؟ » ثم هى ستقول أخيرا « هذا
تخريف يا جوزيف » .

فقد حاول جوزيف من قبل أن يحمل ملاحظات الدكتور
وينتر الى غرفة الخدم ، فكان مصيرها دائما أن تتبين
آنى انها ملاحظات خرافية .

ورفع الدكتور وينتر عينيه عن ابهاميه وأخذ يلاحظ
جوزيف وهو ينظم الكراسى .
— ماذا يفعل العمدة ؟

— يلبس لاستقبال القائد يا سيدى .

— يلبس بغير معوتتك ؟ لن يكون حسن الهندام اذا لم
تعاونه .

— ان السيدة تعاونه .. فان السيدة تريده أن يبدو فى
أحسن مظهر .. انها ..

ويستدرك جوزيف وقد احمر وجهه خجلا .. « السيدة
تقتلع الشعر من أذنيه يا سيدى ، فهو لا يريدنى أن أقوم
بهذا العمل لأن الملقط يدغدغه » .

فقال الدكتور وينتر « بالطبع يدغدغ » فقال جوزيف « ولكن السيدة تصر » .

وضحك الدكتور وينتر فجأة ثم وقف وقرب يديه من النار ، بينما تسلل جوزيف من خلفه بمهارة وأعاد الكرسي الى مكانه الذي يجب أن يكون فيه . وقال الطبيب « اننا شعب عجيب ، وطننا يسقط ، وبلدتنا تحتل ، والعمدة على وشك أن يستقبل المحتل ولكن السيدة تقبض على عنق العمدة لتقتلع الشعر من أذنيه عنوة » .

فقال جوزيف « ان الشعر يتكاثف في أذنيه وفي حاجبيه أيضا ، وان غضب سعادته يزداد عند تزجيج حاجبيه ، فهو يتألم من ذلك حتى لا أعتقد ان السيدة نفسها تستطيع تزجيجهما له » .

فقال الدكتور وينتر « ولكنها ستحاول » .

— انها تريده أن يبدو في أحسن مظهر يا سيدي .

وحينئذ بدا وجه تعلوه خوذة من النافذة الزجاجية لباب الدخول ، ثم سمع طرق على الباب ، فكأنما تسرب بعض الشعاع الدافئ من الحجرة لتحل مكانه سحابة صغيرة من الظلام ونظر الدكتور وينتر الى الساعة وقال « انهم مبكرون ، دعهم يدخلون يا جوزيف » .

وذهب جوزيف الى الباب وفتحه ، وخطا جندي الى

الداخل مرتديا معظما طويلا ، واضعا خوذة على رأسه وقد حمل في يديه مدفعا رشاشا . وألقى الجندي نظرة سريعة حوله ثم خطا خطوة جانبية ، ومن خلفه بدا ضابط واقفا على المدخل . وقد كان زى الضابط من النوع المألوف ، ولم يكن ثمة ما يوضح رتبته الاشارة على كتفه .

وخطا الضابط الى الداخل وألقى نظرة الى الدكتور وينتر ، كان يبدو كصورة مبالغ فيها لسيد انجليزى ، كان مترهل الجسم ، أحمر الوجه ، طويل الأنف في غير اسراف ، وكان يبدو عليه الشقاء في زيه ، شأنه في ذلك شأن معظم الجنرالات البريطانيين ، وقف الضابط عند المدخل وقد تفرس في الدكتور وينتر ثم قال : « هل أنت العمدة أوردن يا سيدى ؟ وابتسم الدكتور وينتر قائلا « لا .. لا ، لست اياه يا سيدى » .

— فأنت موظف اذن ؟

— لا .. أنا طبيب البلدة وصديق العمدة .

فقال الضابط « أين العمدة أوردن ؟ » .

— يرتدى ملابس لا استقبالك ، انت القائد أليس كذلك ؟

— لا .. لست به ، أنا الكابتن « بنتيك » .

وانحنى الضابط فأجابه الدكتور وينتر بانحنائة خفيفة .

واستطرد الكابتن بنتيك وكأنما أدركه بعض الارتباك مما

سيقول :

— ان التعليمات العسكرية يا سيدى تحتم علينا أن
نفتش الغرفة قبل أن يدخلها القائد خشية أن يكون بها بعض
سلاح . ولا نقصد بذلك الى أى اهانة .

وحينئذ التفت الضابط الى خلفه ونادى :

— يا جاويز

وتقدم الجاويز مسرعا الى جوزيف وأجرى يديه على
جيوبه ثم قال « لا شىء يا سيدى » .

فقال الكابتن بنتيك للدكتور وينتر « أرجو أن تلتمس
لنا العذر » .

وذهب الجاويز الى الدكتور وينتر وتحسس جيوبه
وما لبثت يده أن توقفت عند الجيب الداخلى لمعطف الطيب ،
ثم سارع فأدخل يده الى هذا الجيب ثم أخرجها وقد أمسكت
بعلة صغيرة مسطحة من الجلد الأسود حملها الى الكابتن
بنتيك الذى فتحها فوجد بها بعض الأدوات الطبية فقد
كانت تحتوى على مشرطين وبعض الابر الطبية وبعض الابر
التي تستعمل فى الحقن . وأقبل الضابط العلة ثانية ثم
أعطاهما للدكتور وينتر .

وقال الدكتور وينتر « أترى اننى طبيب قروى ، لقد
اضطرت مرة الى استئصال الزائدة الدودية بسكين مطبخ ،
ومنذ ذلك الحين وأنا أحمل هذه العلة معى دائما » فقال
الكابتن بنتيك « اعتقد انه توجد هنا بعض الأسلحة النارية »

وفتح الضابط كتاباً صغيراً يحمله في جيبه . فقال الدكتور
وينتر « انك محق » .

— نعم ، فان الرجل الذى ساعدنا من المواطنين كان يعمل
هنا .

فقال الدكتور وينتر « ما أظنك ستخبرنى عن هذا الرجل
الذى ساعدكم » .

. فقال بنتيك « ان عمله قد تم الآن .. ولا أظن ان هناك
أى ضرر فى اخبارك .. ان اسمه هو كوريل » .

فقال الدكتور وينتر فى دهشة « جورج كوريل .. ؟
لماذا ؟ ان هذا يبدو مستحيلاً ! .. لقد قام بكثير من الأعمال
فى سبيل هذه البلدة ؟ فلماذا ؟ لقد قدم جوائز لمسابقة الرماية
التي أقيمت فى التلال هذا الصباح ؟ » .

وعندما قال هذا بدا فى عينيه انه أصبح يدرك ما حدث ،
وأخذ فمه ينطبق فى بطاء ثم قال « لقد أدركت .. انه من
أجل هذا أقام مسابقة الرماية .. نعم لقد أدركت .. ولكن
جورج كوريل ؟ .. هذا أمر يبدو مستحيلاً » .

وفتح الباب من الجهة اليسرى ودخل العمدة أوردن ،
وقد غرس خنصره فى أذنه اليمنى وارتدى سترة الصباح
الرسمية تحيط بعنقه القلادة الخاصة بوظيفته ، وكان له
شارب أبيض ضخم أشعث ، وقد استقر على كل عين من
عينيه شارب آخر أصغر حجماً .

وكان من الواضح ان رأسه لم تخرج من تحت الفرشاة
الا في هذه اللحظة فقد كان شعره يتواهب الآن مناظلا
ليعود الى سابق انتفاشه وتحرره .

لقد استمر العمدة في وظيفته هذه مدة طويلة حتى لقد
أصبح يمثل في أذهان أهل البلدة المعنى المجرد للعمودية .
حتى شيوخ البلدة كانوا يمثلون العمدة أوردن في أذهانهم
ان هم رأوا كلمة العمدة مطبوعة أو مكتوبة . وكان هو
ومنصبه يكونان وحدة ، فقد أضفى عليه منصبه الجلال
وأضفى هو على منصبه الحياة .

ومن وراء العمدة ظهرت السيدة . . صغيرة الجسم مجمعة
القسمات ، واضحة الشراسة كانت تعتقد انها خلقت رجلها
هذا جميعه ، فهي مشغولة الخاطر به دائما وكانت واثقة ان
في مقدورها أن تعيد خلقه في صورة أحسن لو أن الفرصة
أتيحت لها أن تعيد خلقه ولعلها لم تفهمه تماما الا مرة
أو مرتين في حياتها جميعا ، ولكن الجوانب التي تفهمها فيه
تفهمها جيدا وتدرک تفاصيلها . فلا يغيب عنها أي نقص مهما
يكن تافها في شهيته ، كما لا يفوتها منه أي مظهر من مظاهر
ألمه أو اهماله أو أنانيته ، ولكن ذهنها لم يصل بها أبدا الى
أفكاره أو أحلامه أو أمانيه . وان كانت في لحظات من حياتها
استطاعت أن ترى وميضا من داخل نفسه .

خطت السيدة الى جانب العمدة ، وأمسكت بيده

واقطعت اصبعه من أذنه المحترقة وألصقت ذراعه الى جانبه ،
كما لو كانت تخرج اصبع طفل من فمه .

— لم أكن أعتقد أنه مؤلم الى هذا الحد الذى تصفه .

تم تلتفت الى الدكتور وينتر :

— لم يدعنى أزجج له حواجبه .

فقال العمدة أوردن « انها تؤلمنى » .

— حسنا جدا فلا حيلة لى معك ما دمت تريد أن تبدو

فى هذا المظهر .

ثم هى تصلح من شأن رباط رقبتة وما كان محتاجا

لاصلاح . ثم هى تقول :

— يسرنى وجودك هنا يا دكتور .. تظن كم منهم

سيحضر ؟

وعندئذ رفعت بصرها فرأت كابتن بنتيك فقالت « أوه

الكولونيل » .

فقال الكابتن بنتيك « لا يا سيدتى انما أنا أعد لمجىء

الكولونيل :: يا جاويز » :

وكان الجاويز يقلب الحشايا ويتفحص ما خلف الصور

فأسرع الى العمدة أوردن وأجرى يديه على جيوبه فقال

الكابتن بنتيك « أرجو أن تعذره يا سيدى فانها التعليمات »

ونظر مرة أخرى الى الكتاب الصغير الذى يمسك به

وقال :

« يا صاحب السعادة أظن أن هنا أسلحة نارية ، قطعتان على ما أعتقد » .

فقال العمدة أوردن « أسلحة نارية !! لعلك تقصد الى البنادق ، نعم عندي بندقية رماية ، وبندقية صيد.. قد لا تعلم اننى لم أعد أخرج كثيرا للصيد ، وان كانت الرغبة فى الخروج تراودنى دائما الا اننى لا أخرج حين يبدأ الموسم ، فما عدت ألقى فيه من المتعة ما كنت ألقى » .

وقال الكابتن بنتيك فى اصرار « أين هذه البنادق يا صاحب السعادة ؟ » .

وأجرى العمدة يده على ذقنه فى ببطء محاولا التذكر .

— نعم ؟ .. أظن ..

ثم استدار الى السيدة قائلا :

— أليست الأسلحة فى مؤخرة خزانة غرفة النوم الى جانب العصى ؟

فقالت السيدة : « نعم ، ولهذا فكل غرزة فى الملابس الموضوعه بهذه الخزانة تفوح برائحة الزيت .. ليتك تجد لهذه الأسلحة مكانا آخر » .

فقال الكابتن بنتيك « يا جاويش » فانطلق الجاويش فورا الى غرفة النوم وقال الكابتن « انها مهمة ثقيلة ، انى آسف » .

وعاد الجاويش حاملا بندقية رماية ذات ماسورتين ،
وبندقية أخرى أنيقة للصيد ذات حميلة للكنتف^(١) . وأسندهما
الى الجدار الجانبى للمدخل .

قال الكابتن بنتيك « أشكركم جميعا ، أشكرك يا صاحب
السعادة ، وشكرا للسيدة » .

وخرج الكابتن من الباب الأمامى متبوعا بالجاويش وقد
حمل البندقيتين فى يد واحدة والمدفع الرشاش على كتفه
الأيمن .

فقال السيدة « ظننت لحظة انه الكولونيل ، انه فتى
وسيم » .

فقال الدكتور وينتر فى تهكم « لا ، لقد جاء فقط ليضمن
سلامة الكولونيل » .

وكانت السيدة تفكر فى عدد الضباط المنتظر مجيئهم
ونظرت فوجدت جوزيف يسترىق السمع بلا حياء ، فأشارت
اليه برأسها فى غضب ، فعاد سبيله الى الأشياء التافهة التى
كان يقوم بها .. وأخذ ينفذ الغبار عن الأثاث مرة أخرى .
وقالت السيدة « كم تظن عدد القادمين ؟ » .

وجذب الدكتور وينتر كرسيه فى غضب وعاد الى الجلوس
قائلا : « لا أدرى » .

(١) ما يعلق به السلاح .

وقالت السيدة لچوزيف في تجهم « حسنا ، فهل تقدم لهم الشاي ، أم كأسا من النبيذ لقد كنا تناقش ذلك الآن ، فاذا كنا سنقدم شيئا فكم عددهم ، واذا كنا لن تقدم شيئا فماذا تفعل » .

وهز الدكتور وينتر رأسه وابتسم :

— لا أدري ، فانا لا غزونا ولا غزينا منذ زمن بعيد ولا أعرف ما يجب أن تفعله .

وعاد اصبع العمدة أوردن الى أذنه المحقنة وقال « أظن انه لا يليق بنا أن تقدم شيئا فان الشعب لا يرضى عن هذا ، ولا أعرف لماذا لا أريد أن أشرب النبيذ معهم » .

وقالت السيدة للدكتور في رجاء « ألم يكن الناس في الزمن الماضي — أعني القواد منهم — يتبادلون التحية على كأس من النبيذ » ؟

وأوماً الدكتور وينتر برأسه موافقا وقال : « نعم لقد كانوا يفعلون ذلك حقا » .

ثم هز رأسه في بطاء :

— ولكن لعل الأمر مختلف ، فقد كان الملوك والأمراء يتصرفون في الحرب كما لو كانوا انجليزا يلهون في الصيد ، فعندما يموت الشعب يجتمعون للافطار احتفالا بوقوع الصيد ولكن قد يكون العمدة أوردن على حق ، فقد لا يحب الشعب أن يشرب العمدة النبيذ مع الغزاة .

وقالت السيدة « لقد أخبرتنى آنى أن الشعب محتشد
هناك يستمع الى الموسيقى ، وما داموا ارتضوا ذلك فما لنا
لا نحافظ نحن على التقاليد المهذبة » .

ونظر العمدة اليها فى حدة وقال فى صوت حازم « أيتها
السيدة ، أظن — بعد اذنك — اننا لن نتناول النيذ ،
فالشعب الآن فى حيرة من أمره فهو قد عاش فى ظلال السلام
طويلا حتى أصبح خالى الذهن عن الحرب . وسوف يتعلم
فلا يحار ثانية ، وقد اتخبونى حتى أذفع عنهم الاضطراب
والحيرة . لقد قتل ستة من أبناء البلدة فى هذا الصباح .
ولن يكون هناك احتفال بوقوع الصيد . فالجرب ليست لهوا
عند الشعب » .

وانحنت السيدة انحناء خفيفة ، فقد وقف منها زوجها
موقف العمدة مرات قبل ذلك ، فتعلمت ألا تخلط فيه بين
العمدة والزوج .

ونظر العمدة أوردن الى ساعته ، وحين دخل جوزيف
يحمل فنجانا صغيرا من القهوة أخذه وهو شارد الذهن ثم قال
« شكرا » .

وأخذ يرشف القهوة ثم قال للدكتور وينتر « يجب أن
أكون على بينة من أمرى ، أتعلم كم تبلغ قوات الاحتلال ؟ »
فقال الطبيب « ليست كبيرة فيما أعتقد ، فما أظنها تعدو

المائتين والخمسين .. ولكن جميعهم يحمل هذه المدافع
الرشاشة الصغيرة .

ورشف العمدة قهوته ثانية وتابع حديثه « وماذا عن بلاد
الوطن الأخرى ؟ » .

ورفع الطبيب كتفيه ثم أنزلهما ، واستطرد العمدة في
يأس « ألم يلقوا مقاومة في أى مكان ؟ » ومرة أخرى رفع
الطبيب كتفيه وقال « لا أعرف فالأسلاك مقطوعة ومنتهبة ،
ولا أخبار لدينا » .

— وأولادنا .. وجنودنا ؟

فقال الطبيب « لا أعلم » .

وقال جوزيف مقاطعا « لقد سمعت .. أعنى ان آنى
سمعت .. » .

— ماذا يا جوزيف ؟

— قتل ستة رجال يا سيدى . بهذه المدافع الرشاشة ،
وسمعت آنى ان ثلاثة قد جرحوا ووقعوا فى الأسر .

— ولكنهم كانوا اثنى عشر .

— سمعت آنى ان ثلاثة قد هربوا .

واستدار العمدة فى حدة سائلا :

— من هؤلاء الذين هربوا ؟

— لا أعرف يا سيدى ، فان آنى لهم تسمع بأسمائهم .

ومرت السيدة بأصبعها على منضدة لتري ان كان هناك غبار ثم قالت « چوزيف .. عندما يأتون كن قريبا من الجرس فلعلنا نحتاج الى خدمات بسيطة . والبس معطفك الآخر يا چوزيف ، ذلك المعطف ذو الأزرار » .

ثم توقفت وأخذت تفكر هنيهة .

— وعلى فكرة يا چوزيف ، عندما تؤدى ما يطلب منك ، اخرج من الغرفة ، فانه لا يليق أن تصوم حولهم مستمعا لأحاديثهم ، كما يفعل الأجلاف .

— أمرك يا سيدتى .

— لن تقدم النيذ يا چوزيف ، ولكن عليك أن تضع بعض السجائر فى هذا الصندوق الفضى وتجعله قريبا من هنا .. ولا تحك الكبريت على نعلك ، ان أردت أن تشعل سيجارة الكولونيل . حك الكبريت على علبته .

— أمرك يا سيدتى .

وفك العمدة أوردن أزرار سترته ، وأخرج ساعته ونظر فيها ثم أعادها وراح يزرر سترته مدخلا الأزرار فى غير عراها فتقدمت اليه السيدة وراحت تعيدها الى عراها الصحيحة .

وسأل الدكتور وينتر :

— كم الساعة الآن ؟

— الحادية عشرة الا خمس دقائق .

وقال الطبيب « انهم قوم يقدرّون للوقت قدره ،
وسيحضرون في الميعاد أتريدنى أن أنصرف ؟ » .

وأخذ العمدة أوردن بهذا السؤال وقال « تنصرف ؟ ! ..

لا .. لا .. بل ابق » .

وضحك في رقة ثم استطرد « لعلنى خائف بعض الشيء ..

لست خائفا ولكنى مضطرب الأعصاب » ثم قال فى تخاذل
« ان أحدا لم يغزنا منذ زمن بعيد » ثم سكت متسمعا ، ومن
بعيد كانت تصل اليه أصوات موسيقى عسكرية ، واتجه
الجميع الى مصدر هذه الموسيقى وأخذوا يسمعون .

وقالت السيدة « ها هم أولاء قادمون .. أرجو ألا يحاول

كثير منهم التجمع هنا دفعة واحدة فالحجرة غير متسعة » .

وقال الدكتور وينتر فى سخرية مريرة « لعل السيدة

تفضل قاعة المرايا بقصر فرساي » .

وعضت السيدة على شفتها وأخذت تنظر حولها وراحت

تقعد الغزاة بذهنها فى مقاعدهم ثم قالت « انها حجرة غاية

فى الصغر » .

وارتفع صوت الموسيقى قليلا ثم خفت ، وسمعت طريقة

مهذبة على الباب .

— من تراه يكون الطارق الآن يا جوزيف ؟ ان كان من
البلدة فاسأله أن يعود في وقت آخر يا جوزيف فان أمامنا
أعمالا كثيرة .

وعادت الطريقة ثانية . وذهب جوزيف الى الباب وفتحه
فتحة صغيرة أول الأمر ثم ازدادت اتساعا .. وما لبث أن
بدا جسم رمادي ذو خوذة واقفا بين صفين من الجند .

قال الجسم « الكولونيل لانسر يقدم تحياته ، ويلتمس
مقابلة سعادتكم » .

وفتح جوزيف الباب على مصراعيه . وتقدم الرجل
ذو الخوذة الى الداخل في خطوات منتظمة وجال بعينه في
الغرفة ثم اتخذ جانبا وأعلن :

— الكولونيل لانسر .

وتقدم جسم آخر ذو خوذة الى الحجرة ، وقد بدت
رتبته على كتفه ، ومن خلفه جاء رجل قصير في حلة رجل
أعمال سوداء .. كان الكولونيل رجلا في منتصف العمر ..
رمادي الشعر ، صلبا ، يبدو عليه الاجهاد .. كانت له أكتاف
الجندي المربعة ، وإن كانت نظرته الوامضة بعيدة عن نظرة
عامة الجنود الفارغة .

وكان الرجل الضئيل الواقف الى جواره أصلع الرأس ،
أحمر الوجه ذا عينين صغيرتين سوداوين وفم دقيق حساس .

خلع الكولونيل لانسر خوذته ، وقال في انحناءة سريعة
« تحيتى لصاحب السعادة » ثم انحنى للسيدة وقال
« ولسيدتى » ثم قال للجوايش « أرجوك أن تقفل الباب
يا جاويش » .

وأقفل جوزيف الباب بسرعة ونظر الى الجندى وكأنه
قد نال نصرا .

وألقى لانسر نظرة متسائلة الى الطبيب فقال العمدة
أوردن « انه الدكتور وينتر » فسأل الكولونيل « أموظف
هو ؟ » .

— بل طبيب يا سيدى ، واستطيع أن أقول انه مؤرخ
البلدة .

وأوماً لانسر محيياً وقال « أنا لا أقصد الى اقحام نفسى
يا دكتور وينتر ، ولكن عسى أن تفرد لنا صفحة فى
مؤرخاتك .. » .

فقال الدكتور وينتر مبتسماً « بل لعلها صفحات كثيرة » .

واستدار الكولونيل لانسر بعض الشىء الى رفاقه وقال
« أظنك تعرف المستر كوريل » فقال العمدة « جورج كوريل
.. انى أعرفه بالتأكيد .. كيف حالك يا جورج ؟ » وقطع
الدكتور وينتر الحديث محتداً وقال بلهجة رسمية « يا صاحب
السعادة ، انه صديقنا جورج كوريل من هيا هذه البلدة
للاحتلال ، انه جورج كوريل المفضل من أرسل جنودنا الى

التلال ، وانه عشيرنا جورج كوريل من أعد قائمة بكل سلاح
نارى فى البلدة ، انه صديقنا .. جورج كوريل .. !
وقال كوريل فى غضب « اننى أعمل فى سبيل الهدف
الذى أومن به ، وانه لموقف شريف » .

وتدلى فك العمدة قليلا ، فقد كان مذهولا .. وأخذ
نظره يتردد فى يأس بين وينتر وكوريل ثم قال « ليس هذا
صحيحا .. ليس هذا صحيحا يا جورج .. لقد كنت تجلس
الى مائدتى وتشرب النبيذ معى ، بل انك أنت من عاوتتنى
فى تأسيس المستشفى » .

كان ينظر فى صرامة الى كوريل ، فيرد اليه كوريل نظرته
فى عداوة وطبق عليهما صمت طويل ، ثم أخذ وجه العمدة
يتصلب قسمة قسمة ، حتى اتخذ شكلا رسميا واستدار الى
الكولونيل لانسر وقال « لا أريد أن أتكلم أمام هذا
السيد » .

فقال كوريل « ان لى الحق أن أظل هنا فأنا جندى مثل
الآخرين ، وان كنت لا أرتدى الملابس الرسمية » .

وأعاد العمدة « لا أريد أن أتكلم أمام هذا السيد » .
فقال الكولونيل لانسر « هلا تركتنا الآن يا مستر كوريل »
فقال كوريل « ان لى الحق أن أبقى هنا » فأعاد لانسر جملته
محتدا « هلا تركتنا الآن يا مستر كوريل ، أم تراك تريد أن
تخرج عن طاعتى »

— لا .. يا سيدى !

فقال الكولونيل لانسر « فأرجوك أن تخرج يا مستر كوريل » .

ونظر كوريل الى العمدة فى غضب ثم استدار وخرج سريعا من الباب الرئيسى . فقال الدكتور وينتر وهو يهتز من الضحك « انه موقف جدير بمؤرخاتى أن تسجله فى فقرة خاصة » .

ونظر الكولونيل لانسر اليه بحدة ولكنه لم يتكلم وفتح الباب الأيمن ، وأطلت منه آنى بوجهها الغاضب وعينيها الحمرابين وشعرها المختلط بالقش ثم قالت « هناك جنود واقفون على البوابة الخلفية يا سيدتى » فقال الكولونيل لانسر « انهم لن يدخلوا ، انها مجرد تنظيمات عسكرية » وقالت السيدة فى برود شديد « ان كنت تريدين ابلاغنا أى شىء فارسلى كلامك مع جوزيف » .

فقال آنى « لم أكن أعرف بوجودهم الا عندما حاولوا الدخول . فقد شموا رائحة القهوة » .

— آنى ..

— أمرك يا سيدتى .

ثم انسحبت من مكانها وقال الكولونيل « هل لى أن أجلس ؟ » ثم تابع كلامه موضحا « فانا لم نتم منذ أمد بعيد »

وبدا العمدة وكأنه هب من غفوة وغمغم قائلاً « نعم
بالطبع تفضل بالجلوس » .

ونظر الكولونيل الى السيدة فاتخذت مقعدا ، وارتمى
الكولونيل مجهدا على أحد الكراسي وظل العمدة أوردن
واقفا شبه حالم .

وتكلم الكولونيل :

— نريد أن نتفاهم بقدر الامكان فأنت ترى يا سيدى
ان وجودنا هنا أقرب الى رحلة تجارية منه الى أى شىء
آخر ، اننا بحاجة هنا الى منجم الفحم ومصايد الأسماك ،
وسنحاول قدر جهدنا أن نؤدى مهمتنا متقادين الاحتكاك .

فقال العمدة « لم تصلنى الأنباء ، فماذا عن البلاد الأخرى »

فقال الكولونيل « لقد احتلت جميعها ، لقد كانت الخطة

محكمة » .

— ألم تكن هناك مقاومة فى أى مكان ؟

— فنظر اليه الكولونيل فى اشفاق :

— تمنيت لو لم تكن هناك مقاومة .. الا انه كانت هناك

بعض مقاومات لم تفد غير اراقة الدماء ، فقد كانت الخطة
محكمة .

وأصر أوردن على سؤاله :

— ولكن كانت هناك مقاومة ؟

— نعم .. ولكن كانت المقاومة حمقا أيما حمق فقد قضى عليها فوراً كما حدث هنا .

وأصاب الدكتور وينتر ما أصاب العمدة من اصرار على هذا السؤال فقال « نعم انهم حمقى ولكنهم قاوموا » .

— فأجاب الكولونيل لانسر ثانية :

— قلة من قاوموا وانتهى أمرهم .. فالشعب في مجموعته هادىء .

فقال الدكتور وينتر « ان الشعب لا يعرف — بعد — ما حدث » .

فقال لانسر « بل انهم أدركوا الموقف ولن يعودوا الى الحمق ثانية » .

وحينئذ تنحج الكولونيل فانطلق صوته وقال « والآن يا سيدى يجب أن تتكلم فى العمل اننى فعلا متعب جدا ولكن لا بد أن أنظم الأمور قبل أن أنام » ثم انحنى الى الأمام فى جلسته وقال « اننى أقرب الى مهندس منى الى عسكرى ، وكل هذا العمل أقرب الى التصميم الهندسى منه الى فتح حربى ، يجب أن يستخرج الفحم من الأرض ويحمل على المراكب ، لدينا الخبراء ولكن على الأهالى أن يواصلوا عملهم فى المنجم .. أهذا واضح ؟ .. فما نحب أن نلجأ الى العنف » .

فقال أوردن « نعم .. انه واضح تماما ، ولكن اذا فرضنا ان الأهالى لم ترغب فى العمل بالمنجم » .

فقال الكولونيل « آمل أن يرغبوا فى العمل لأنهم لا بد أن يعملوا ، ولا بد أن تحصل على الفحم » .
— فاذا امتنعوا ؟

— لا بد لهم أن يعملوا ، فهم قوم يحبون النظام ، ولا يسعون الى المتاعب .

وانتظر الكولونيل اجابة من العمدة فلم يجب . فسأله الكولونيل « ألا ترى هذا الرأى يا سيدى » فراح العمدة يدير سلسلة مفاتيحه على اصبعه وقال « لا أعرف يا سيدى ، فهم يحبون النظام الذى تفرضه عليهم حكومتهم هم ، ولا أعرف الى ما سيصيرون فى ظل حكومتك ، لقد أنشأنا حكومتنا منذ أربعمائة سنة ، وهذه — كما ترى — تجربة جديدة علينا » .

فقال الكولونيل بسرعة « انا نعرف ذلك ولذلك فانا سنبقى على حكومتك ، وستظل العمدة ، تصدر عنك الأوامر ، ويوقع الجزاء بأمرك ، وتمنح المكافآت بمشيئتك .. وهكذا لن يثير الأهالى اضطرابا » .

ونظر العمدة أوردن الى الدكتور وينتر وقال له « فيم تفكر ؟ » .

فقال الدكتور وينتر « لا أدري ، فانى مشوق الى رؤية
ما سيحدث ، فانى أتوقع اضطرابا فقد يكون القوم صعب
مراسهم » .

فقال العمدة أوردن « وأنا أيضا لا أدري » والتفت الى
الكولونيل قائلا « سيدى ، اننى فرد من هؤلاء القوم ،
ولا أعرف بعد ما سيفعلون ، ولعلك أنت تعرف ، بل لعل
الأمر يختلف عما تعرفه أنت أو ما نعرفه نحن ، فبعض الناس
يقبلون القواد المفروضين عليهم ويطيعونهم ، ولكن قومي
اتخبونى ، انهم بيدهم جعلوا منى عمدتهم ويستطيعون
بيدهم أن يزيلونى عن منصبى ، ولعلمهم يفعلون ذلك اذا ظنوا
اننى أحالفكم .. الواقع اننى لا أدري ما سيفعلون » .

وقال الكولونيل « ان أنت أبقيت عليهم هدوءهم كان
ذلك لصالحهم » .

— لصالحهم ! ?

— نعم .. لصالحهم ، ان واجبك أن تجنبهم السوء ..
ان هم ثاروا تعرضوا للخطر ، لا بد أن نحصل على الفحم ،
لقد أصدر قوادنا أوامرهم أن نحصل عليه ، ولم يحددوا
الوسيلة ، أما أنت فعليك أن تحمى قومك ، عليك أن تجعلهم
يؤدوا عملهم حتى يحافظوا على سلامتهم .

وسأل العمدة أوردن :

— فاذا لم يشاءوا المحافظة على سلامتهم ؟

— اذن فعليك أن تدبر أمرهم .

فقال أوردن في قليل من الزهو « ان قومي ليسوا بحاجة الى أحد ليدبر أمرهم ، لعلمهم يختلفون عن قومك ، انى مضطرب الفكر ولكنى واثق مما أقول » .

وحينئذ دخل جوزيف مسرعا ووقف منحنيا الى الأمام متهيئا للانفجار في الحديث فقالت السيدة « ماذا بك يا جوزيف ؟ احضر علبة السجائر الفضية » فقال جوزيف « عفوا يا سيدتى عفوا يا صاحب السعادة .. » فقال العمدة « ماذا تريد ؟ » فقال جوزيف « انها آنى يا سيدى قد اعترأها الغضب » فقالت السيدة « ما خطبكم ؟ » .

— آنى لا تريد الجند أن يقفوا عند البوابة الخلفية .

فسأل الكولونيل « أثيرون المضايقات ؟ » .

فقال جوزيف « انهم ينظرون من خلال الباب الى آنى وهى لا تطيق ذلك » .

فقال الكولونيل « انهم ينفذون الأوامر ولا يأذون أحدا » .

فقال جوزيف « ولكن آنى تكره أن يحملق أحدا اليها »

فقالت السيدة « مر آنى أن تضبط أعصابها » فقال

جوزيف « أمرك يا سيدتى » ثم خرج .

وقال الكولونيل وقد أرخى جفنيه في اعياء « هناك
شيء آخر يا صاحب السعادة .. ترى أيمن أن أقيم هنا مع
أركان حربى ؟ » .

وفكر العمدة أوردن لحظة وقال « ان المكان ضيق ..
وهناك أمكنة أكثر اتساعا وتوفيرا للراحة » .

وعندئذ عاد جوزيف بصندوق السجائر الفضى وفتحه
وقدمه الى الكولونيل ، وحين تناول الكولونيل سيجارة
أشعلها له جوزيف في الحال ف جذب الكولونيل أنفاسها الى
عميق صدره ثم قال « ليس هذا ما نبحت عنه ولكن تبين لنا
انه اذا أقام أركان الحرب تحت سقف السلطات المحلية فان
هذا يؤدي الى مزيد من الهدوء » .

فقال أوردن « أنت تقصد ان هذا يوحى الى الشعب ان
ثمة تعاوننا بيننا » .

— نعم أعتقد هذا .

ونظر العمدة أوردن في يأس الى الدكتور وينتر فلم
يستطع وينتر أن يعينه بغير ابتسامة مريرة فقال أوردن في رقة
« أيسمح لى برفض هذا الشرف ؟ » .

فقال الكولونيل « لا .. مع الأسف فانها أوامر القيادة » .

فقال أوردن « ولكن الشعب لن يرضى عن هذا » .

— دائما الشعب .. الشعب أعزل ولا يملك القول .

وهز العمدة أوردن رأسه قائلاً « أنت لا تعرفه
يا سيدى » .

وجاء صوت سيدة حانقة عبر المدخل وتبعه صوت ضربة
وصرخة رجل ، وجاء جوزيف مهرولا « انها ترميهم بماء
مغلى ، انها فى غاية الغضب » .

وبلغتهم أصوات أوامر تصدر وأقدام تنتظم ، فقام
الكولونيل لانسر متثاقلاً وقال « أليس لكم سيطرة على
خدمكم يا سيدى ؟ » .

فابتسم العمدة قائلاً « قليل من السيطرة ، فانها طباحة
ماهرة حين تطيب نفسها .. » .

ثم سأل جوزيف « أصيب أحد بأذى ؟ » .
— كان الماء يغلى يا سيدى .

فقال الكولونيل لانسر « اننا لا نريد الا انفاذ مهمتنا ،
انها مهمة هندسية وعليك أن تلزم طاهيتك النظام » فقال
أوردن « لا أستطيع ، فاذا فعلت تركتنا » .

— هذه حالة طوارئ ولا تستطيع أن تترككم .

فقال الدكتور وينتر « اذن فستقذف بالماء المغلى » ؟

وفتح الباب ووقف جندى عند المدخل وقال « هل
أقبض على هذه المرأة يا سيدى ؟ » فسأل لانسر « هل أصيب
أحد بأذى ؟ » .

— نعم يا سيدى ، حرقت أهدنا وعضت آخر ، ونحن
نمسك بها يا سيدى .

ونظر لانسر فى عجز وقال « اطلقوا سراحها واخرجوا
بعيدا عن البوابة » .

— أمرك يا سيدى .

وانقفل الباب وراء الجندى .

فقال لانسر « كنت أستطيع رميها بالرصاص وكنت
أستطيع حبسها » .

فقال أوردن « وعندئذ نصح بغير طبخة » .

فقال الكولونيل « اسمع .. لقد أمرنا أن نطوع قومك »

فقلت السيدة « معذرة يا سيدى فانى ذاهبة لأرى ان

كان الجنود قد أذوا أنى » .

وحيئذ وقف لانسر « لقد أخبرتك اننى متعب يا سيدى

ولابد لى أن أصيب بعض النوم فأرجوك أن تعاوننا للصالح

العام » .

ولما لم يجب العمدة أوردن أعاد لانسر قوله « للصالح

العام .. أرجوك » فقال أوردن « انها بلدة صغيرة ،

ولا أستبين طريقى ، فالقوم فى حيرة وكذلك أنا » .

— ولكن هل ستحاول التعاون معنا .

فهز أوردن رأسه قائلا « لا أدري .. حين تجمع البلدة
أمرها على ما ستفعله فلعلني حينئذ أفعل » .
— ولكنك السلطة .

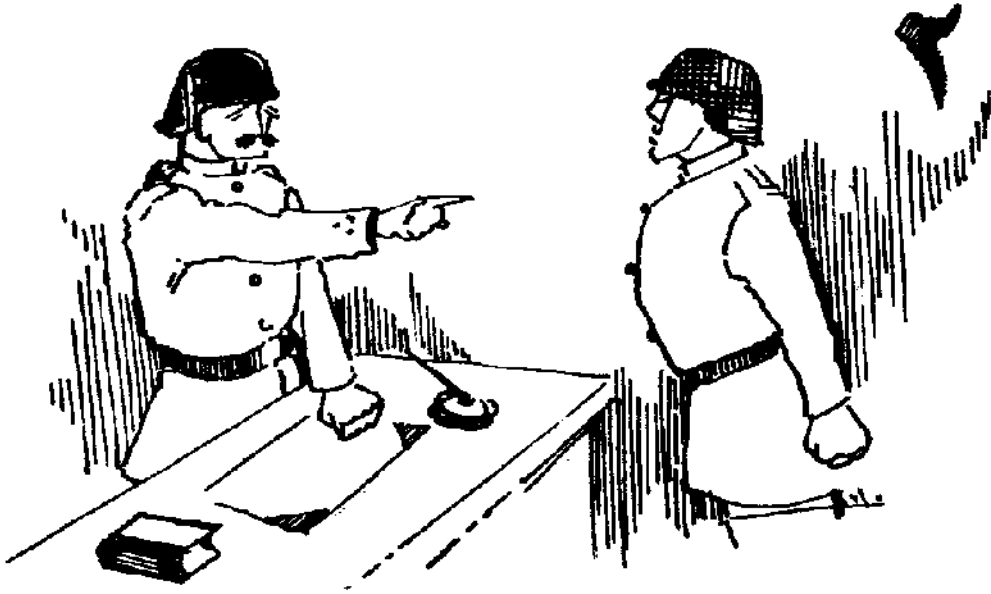
فابتسم أوردن قائلا « لن تصدق ما سأقوله ولكنه
الحق ، فالبلدة هي السلطة ، لا أعرف كيف ولا لماذا ، ولكن
هكذا الوضع ، وهكذا لا نستطيع تصريف الأمور في نفس
السرعة التي تستطيعونها أتم ، ولكن عندما نحدد موقفنا
نستطيع أن نوحّد جهودنا على العمل ، أما الآن فاني في حيرة
ولا أستطيع تحديد موقفي » .

فقال لانسر في اعياء « آمل أن تتمكن من التعاون فان
هذا سييسر الأمور للجميع ، أرجو أن تكون محل ثقتنا ،
فما أحب أن الجأ الي وسائلنا العسكرية في حفظ النظام » .

وكان العمدة أوردن صامتا فأعاد لانسر قوله « أرجو
أن تكون محل ثقتنا » فوضع أوردن اصبعه في أذنه ورج
يده قائلا « لا أدري » .

وعندئذ دخلت السيدة من الباب قائلة « آني فائرة ،
انها بالغرفة المجاورة تكلم كريستين ، وكريستين غاضبة
أيضا » .

وقال العمدة « لعل كريستين أكثر حدقا للطهي من آني »



في الطابق الأعلى من قصر العمودية الصغير اتخذ أركان
حرب الكولونيل لانسر مقر قيادتهم .. كان هناك خمسة منهم
بجانب الكولونيل ..

فالمajor هنتر رجل ضئيل ولوع بلغة الأرقام .. ضئيل
كوحدة مكملة لغيرها ، وهو ينظر الى الآخرين كوحدة
مكملة أو كأشياء غير خليقة بالحياة . والمajor هنتر مهندس
مدني ، ولولا حالة الحرب لما فكر أحد في أن يعهد اليه بقيادة
الرجال ، فالمajor هنتر يوقف رجاله في صفوف كما لو كانت
أرقاما ثم هو يجرى عليهم عمليات الجمع والطرح والضرب
فهو رجل حساب أكثر منه رجل رياضة فلا سبيل للمرح
أو الموسيقى أو لروح التصوف التي تنطوي عليها الرياضيات
العليا ، لا سبيل لشيء من هذا أن يجد طريقه الى عقله .

وفي رأيه ان الناس قد يختلفون فيما بينهم ولكن هذا
الاختلاف لا يكون الا في أطوالهم أو أوزانهم أو ألوانهم

كما يختلف الرقم ٦ عن الرقم ٨ ، ولقد تزوج مرات ولكنه أبدا لم يعرف لماذا تشور أعصاب زوجاته قبل أن يتركه .

أما الكابتن بنتيك فقد كان رجل عائلة ، محبا للكلاب والأطفال وأعياد الميلاد كانت رتبته أقل من سنه ، ولكن افتقاره العجيب للطموح قعد به في هذه الرتبة ، وقد كان قبل الخدمة معجبا أشد الاعجاب بسادة الريف الانجليزي ، فهو يلبس ملابس الانجليز ، ويقتنى الانجليزي من الكلاب ، ويدخن في غليون انجليزي تبعا يؤلف له خصيصا ويرسل اليه من لندن ، وهو مشترك في المجلات التي تبحث في شؤون الريف وتتغنى بامجاد فلاحه البساتين .

وقد كان الكابتن بنتيك يقضى أجازاته جميعها في مقاطعة ساسكس الانجليزية وهو حريص على أن يعتقد الناس في بودابست أو باريس انه رجل انجليزي .

وغيرت الحرب هذا جميعه في الظاهر ، ولكنه كان قد دخن غليونه طويلا ، وصاحب عصاه طويلا حتى لقد أصبح من العسير عليه أن يتخلى عنهما دفعة واحدة ، وفي مرة منذ خمس سنوات كان قد كتب رسالة الى التيمس عن جفاف الحشائش في ميدلاند ووقعها باسم ادموند تويتشيل المحترم ، والأهم من هذا ان التيمس نشرت الرسالة .

وان كان الكابتن بنتيك كبير السن بالنسبة لرتبته فان الكابتن لوفت كان صغيرا على هذه الرتبة ، وقد كان الكابتن

لوفت ضاربا في « الكابتنية » (١) الى أقصى حد يتصوره
الانسان فقد كان يحيا في الكابتنية ويتنفسها ، حتى ان حياته
لم تشهد لحظة غير حرية ، فقد كان ذا طموح دافع يرتفع
به في مدارج الرتب ، فكان يرتفع كما ترتفع القشدة على
سطح اللبن ، وكان يضرب أحد كعبيه بالأخرى في نفس الدقة
التي يأتي بها الراقص هذه الحركة ، وكان يعرف ألوان
الآداب الحربية جميعها ، وكان يصر على التزامها جميعا ، وكان
الجنرالات يخشونه ، لأنه يعرف عن مسلك الجندي أكثر
مما يعرفون . وكان الكابتن لوفت يعتقد ويؤمن ان الجندي
هو أرقى مدارج التطور الحيواني فكان اذا حدث وفكر
في الله تخيله كما لو كان جنرا لا عجوزا محملا بالرتب
والألقاب والنياشين ، اعتزل الخدمة بعد أن سرى الشيب في
رأسه ، فهو يحيا بين ذكريات واقعه ، ويضع طاقات الزهر
على قبور صغار ضباطه مرات كثيرة خلال العام وكان الكابتن
لوفت يعتقد ان جميع النساء يقعن في هوى الرداء الرسمي ،
ولا يمكن له أن يتصور غير هذا .

انه اذا سارت الأحداث سيرا طبيعيا فقد يحصل الكابتن
لوفت على رتبة فريق وهو في عامه الأربعين ، ولتشرن
صورته يومذاك في الصحف المصورة وقد حفت به على
الجانبين سيدات فارعات الطول ، شاحبات الوجوه ، ذوات
ملامح مسترجلة .

(١) اشتقاق مصدرى من رتبة كابتن .

أما الملازمان پراكل وتوندر فقد كانا طالبين ما زالوا بالجامعة ، قدرى الأنوف دارسين للنظريات السياسية العصرية مؤمنين ان النظام الجديد قد أقامه عبقرى فهو من الضخامة بحيث لا يكلفان نفسيهما عناء البحث فى نتائجه .

كانا شاين عاطفين ، سريعة دموعهما ، قريب غضبهما ، كان الملازم پراكل يحمل خصلة من الشعر مربوطة فى قطعة من الحرير الأزرق وكان يضعها داخل ساعته وكثيرا ما كان الشعر يفلت من قطعة الحرير ، ويعطل لولب الساعة ، وهكذا اضطر الى اتخاذ ساعة يد غير تلك ليعرف بها الوقت . وقد كان پراكل شابا مرحا ماهرا فى الرقص ولكنه مع ذلك كان يستطيع أن يعبس وجهه مثل الزعيم ، ويكفهر مثل الزعيم أيضا ، وكان يمقت الفن الرخيص ولهذا فقد أتلف عديدا من اللوحات بيده ، وكان أحيانا يرسم أصدقاءه رسومات تخطيطية وهم جالسون معه فى الكباريهات ، وقد كانت هذه الرسوم متقنة لدرجة ان كثيرا ما قيل له انه كان من الممكن أن يصبح فنانا . وقد كان لپراكل أخوات شقراوات عديدات ، وقد كان فخورا بهن كل الفخر ، حتى انه أقام مرة ضجة كبيرة عندما خيل اليه ان اهانة مستهن ، أما الأخوات فقد جزعن لهذه الضجة خشية أن تثبت الاهانة عليهن وقد كان من اليسير اثباتها . وكان الملازم پراكل يكاد يقضى أوقات فراغه كلها حالما بأن ينال أخت الملازم توندر الشقراء وقد كانت فتاة طروبا تحب أن ينالها من يكبرونها من الرجال على ألا يشعشوا شعرها كما فعل بها الملازم پراكل .

وكان الملازم توندر شاعرا .. شاعرا مريرا يحلم بالحب
المثالى الكامل يقع بين الفتيان الأثرياء والفتيات الفقيرات ،
وكان توندر أسود الشعر خياليا ، له من الرؤى بقدر ما له
من الخبرة . وكان أحيانا يتكلم بالشعر المرسل هامسا به الى
سمرات يرسمهن له الخيال ، وكان يتوق الى الموت على
أرض المعركة ويتخيل أبويه يبكيانه فى مؤخرة الجيوش ،
بينما وقف الزعيم شجاعا وان كان حزينا فى حضرة الشباب
الراحل . كثيرا ما كان يتصور موته ، وقد انسكبت عليه
أضواء الشمس الغاربة ، ولملت على الأسلحة المتكسرة حوالبه
وقد وقف حوله رجال صامتون مطرقو الرؤوس .

هؤلاء هم رجال أركان الحرب ، كل منهم يلعب الحرب
كما يلعب الأطفال لعبة المطاردة . فالماجور هنتريفكر فى الحرب
كعملية حسائية عليه أن يؤديها ليعود الى بيته . والكابتن
لوفت يفكر فيها على انها المستقبل القويم لشاب ربي التربية
القوية . أما الملازمان پراكل وتوندر فقد كانا يأخذانها على
انها حلم لا حقيقة فيه ، وهكذا لعبوا حربهم تلك بأسلحة
ممتازة وخطط محكمة ضد أعداء بلا سلاح ولا خطط
فلم يخسروا موقعة ، ولم يعانون الا القليل . ولو انهم تعرضوا
لضغط الظروف لجنوا أو مستهم الشجاعة ، شأنهم شأن
غيرهم من الناس . فلم يكن أحد من بينهم يعرف حقيقة
الحرب الا الكولونيل لانسر .

وقد أقام لانسر قبل ذلك بعشرين عاما في بلجيكا وفرنسا وهو يحاول ألا يفكر فيما تعلمه اذ ذاك من ان الحرب خيانة وكراهية وتكديس لغير الأكفاء من الجنرالات وانها تعذيب وقتل ، ومرض ، ومتاعب وتظل كذلك حتى تنتهي دون أن تغير في العالم الا ما تستحدث فيه من متاعب وكراهية . كان لانسر يقول لنفسه انه جندي تصدر اليه الأوامر لينفذها ، ولا يتوقع أحد منه أن يناقش هذه الأوامر أو يفكر فيها . فما عليه بشأنها الا أن ينفذها ، وهو يحاول جهده أن يبعد عن ذهنه ذكرياته القاتمة عن الحرب الأولى وأن يزيل عنه تلك الثقة من أن هذه الحرب ستكون شبيهة تماما بسابقتها فهو لا يزال يقول لنفسه « ستكون هذه الحرب شيئا مختلفا .. مختلفا كل الاختلاف » يقولها خمسين مرة في اليوم .

عندما تسير الجيوش ، أو تحتشد الجماهير ، أو يقيمون المباريات لكرة القدم أو عندما تنشب الحرب ، عندما يحدث شيء من هذا تضطرب المعايير الثابتة ، فتضبح الحقائق أو هاما ويعشى العقل ضباب ، فالتوتر ، والاضطراب ، والاعياء كل هذه الأحاسيس تظالعك من حلم واحد هائل أغبر اللون . وهكذا حينما تنتهي الحرب يصبح من العسير أن نذكر ما كنا نحسه حين نقتل الرجال أو نأمر بهم ليقتلوا ، وحينئذ يصف لك القوم الذين لم يشهدوا الحرب ما كنت تحسه أنت فتجيبهم أنت بلا وعى « نعم .. أظن ان الأمر كان كذلك » .

اتخذت هيئة أركان الحرب هذه ثلاث حجرات من الطابق الأعلى من قصر العمدة ، فوضعوا في غرف النوم سررهم الصغيرة وأغطيتهم وحاجياتهم وأقاموا في الغرفة المجاورة الواقعة فوق غرفة الاستقبال في الطابق الأسفل مباشرة شيئاً يشبه المنتدى ، أو هو يشبه المنتدى غير المريح ، فجعلوا فيه بضعة كراسي ونضد ، وفيه أخذوا يكتبون الخطابات ويقرأونها ويتحدثون ويشربون القهوة ، وينسقون الخطط ، ويلتمسون الراحة ، وعلى الجدران بين النوافذ كانت هناك صور للأبقار والبحيرات والبيوت الريفية الصغيرة . ومن الشباك كان يمكنهم أن يشرفوا على البلدة جميعاً حتى ساحل البحر ، كما كان يمكنهم أن يرقبوا أحواض السفن وقد رست بها حاملات الفحم تبعاً ثم تأخذ سبيلها الى عرض البحر ، وكان يمكنهم أن يروا طرق البلدة الصغيرة وهي تتلوى من الميدان حتى تصل الى الواجهة البحرية ، وكان يمكنهم أن يروا قوارب الصيد رابضة في الخليج وقد طوى منها الشراع وكان يمكنهم أيضاً أن يشموا من الشباك نفسه رائحة السمك المجفف على الشاطئ .

وفي وسط الغرفة كانت تقوم منضدة كبيرة يجلس الى جوارها الماچور هنتر وقد وضع على فخذه طرف لوحة الرسم وأسند الطرف الآخر على المنضدة ، وكان يستعين بمسطرة هندسية ومثلث على رسم تصميم لخط حديدي

جانبي جديد . وكانت لوحة الرسم قلقة في مكانها هذا ،
وكان الماچور هتتر غاضبا من قلقها ، فالتفت الى ورائه مناديا
« پراكل » ثم « يا ملازم پراكل » .

وفتح باب غرفة النوم وخرج الملازم وقد غطى نصف
وجهه بالصابون وأمسك بفرشاة الحلاقة وقال « نعم ؟ » .
وأزاح الماچور هتتر لوحة الرسم في عنف وقال « ألم يأت
حامل اللوحة مع الأمتعة » فقال پراكل « لا أعرف يا سيدي
فأنا لم أبحث عنه » .

— حسنا فهل لك أن تبحث عنه الآن .. فانه يكفيني
ما في خفوت الضوء من مضايقة ولا بد لي أن أرسم هذا
التصميم ثانية قبل أن أحبره .

فقال پراكل « سأبحث عنه بمجرد انتهائي من الحلاقة »
فقال هتتر في عصبية « ان التصميم أكثر أهمية من مظهرك ،
أنظر ان كانت هناك حقيبة من القماش تشبه حقيبة الجولف
تحت كومة الأمتعة » .

واختفى پراكل في غرفة النوم وفتح الباب الأيمن ودخل
الكابتن لوقت مرتديا خوذة وقد علق على كتفه نظارة ميدان
وسلاحا في حزامه ، وتدلّت عليه بضعة من الأكياس الجلدية
وما ان دخل حتى أخذ يخلع معداته تلك وقال « هل تعلم
ان بنتيك مجنون ، قد كان خارجا في نوبته وقد ارتدى
قبعة عادية وراح يسير بها في الشارع » .

ووضع لوفت نظارة الميدان على النضد وخلع خوذته ثم
اتبعها بالكمامة ، ثم أخذ كوم صغير من الحاجيات يعلو على
النضد .

فقال هنتر « لا تترك هذه النفايات على النضد فانتى
سأعمل عليها .. وما له لا يلبس قبعة عادية ، فانتا لم نلق
أية متاعب ، لقد أصبحت أضيق بهذه الخوذات المعدنية ، فهى
ثقيلة وتعوق النظر » .

فقال لوفت « ان التخلي عنها عادة سيئة تضر بنا أمام القوم
هنا ، يجب أن نحافظ على سميتنا العسكرى ونظل على اليقظة
الدائمة ولا نتخلي عنها أبدا ، والا استدعينا المتاعب » .

فسأله هنتر « وما دعاك الى هذا الظن » .

واعتدل لوفت فى جلسته قليلا وقد ضم فمه فى ثقة .. هذه
الثقة التى يتسم بها حديثه حتى ليخيل لمن يحادثه أنه سيهم
بضربه وشيكا .. قال « انه ليس مجرد ظن ، لقد كنت ألخص
النشرة العسكرية رقم ١٢ وهى عن مسلك الجندى فى البلاد
المحتلة ، وهى تعالج هذا الموضوع فى دقة رائعة ، وقد بدأ
مؤلفها بقوله (انك) ثم قال ان كل انسان يجب أن يقرأ
هذا الكتيب فى عناية تامة » .

فقال هنتر « انى أسائل ان كان الرجل الذى كتبه قد وجد

مرة في بلدة محتلة ، فان هؤلاء القوم مسالمون للغاية ، ويبدو أنهم قوم طيبون ، مطيعون .

وخرج پراكل من الباب ووجهه ما يزال مغطى بالصابون وكان يحمل حقيبة من القماش البنى اللون ، ومن خلفه جاء الملازم توندر ، سأل پراكل « أهذه هي ؟ » .

— نعم ، فهل لك أن تفرغها وتقيم الحامل .

وأخذ پراكل وتوندر يعملان في الحامل المطوى ويختبرانه ويضعانه بجانب هنتر . وثبت الماچور لوحته عليه وربطها من اليمين والشمال ، ثم قبع خلفه أخيرا .

وقال الكابتن لوفت « أتعرف أيها الملازم أن الصابون على وجهك ؟ » فقال پراكل « نعم يا سيدى .. لقد كنت أحلق حين طلب الى الماچور هنتر أن أحضر الحامل » فقال لوفت ، « حسنا ، يجمال بك اذن أن تزيل الصابون فقد يراك الكولونيل » .

— انه لا يبالي ، فهو لا يهتم بمثل هذه الأمور .

وكان توندر ينظر من وراء أكتاف هنتر وهو يعمل .

وقال لوفت « لعله لا يهتم ولكن هذا عمل غير لائق بالجندى ، وأخذ پراكل منديلا ومسح الصابون عن وجهه . وأشار توندر الى رسم صغير في الزاوية من لوحة الماچور .

— انها قنطرة أنيقة يا ماجور ، ولكن فى أى مكان من العالم ستقيمها .

ونظر هنتر الى أسفل اللوحة ثم رفع رأسه الى توندر .

— هيه ؟ آه .. انها ليست قنطرة منقمة ، ان المكان

الأعلى من اللوحة هو المخصص للأعمال الرسمية .

— فماذا ستفعل بالقنطرة اذن ؟

وبدا على هنتر بعض الارتباك .

— حسنا ، لعلك تعرف أن هناك نموذجاً لخط حديدى

فى الفناء الخلفى لمنزلى ، وقد كنت بسبيل شق قناة صغيرة

تعرضه ، وقد امتد الخط الى حيث شقت القناة ولكنى أبدا

لم أستطع إقامة القنطرة ، وظننت انى ربما استطعت أن

أرسمها وأنا بعيد عن المنزل .

وأخرج الملازم يراكل من جيبه صورة فوتوغرافية مطوية

ونشرها ورفعها وراح ينظر فيها لقد كانت صورة فتاة ، صورة

كاملة بها سيقان الفتاة ورداؤها ورموش عينيها ، وقد كانت

فتاة شقراء فائرة الانوثة ترتدى جوارب سوداء شفافة

وصديريا منسابا الى الأسفل ، وكانت هذه الشقراء العجيبة

تحقق فى مروحة من الدتتيللا السوداء . رفع يراكل الصورة

الى أعلى وقال « أليست رائعة » .

ونظر الملازم توندر الى الصورة نظرة ناقدة وقال « أنها

لا تعجبني » .

— وما الذي لا يعجبك فيها ؟ ! .

فقال توندر « انها لا تعجبني ، لماذا تبقى على صورتها » .

فقال براكل « لأنها تعجبني ، وأراهن على أنها تعجبك

أنت أيضا » .

فقال توندر « بل ، لا » فقال براكل « أتعني انك لا ترضى

بموعد معها اذا تمكنت منه » .

فقال توندر « نعم » فقال براكل « فأنت مجنون » .

ثم اتجه الى احد الستر وقال « سأعلقها هنا وأتيح لك

أن تتأملها قليلا » ثم علق الصورة بالستارة .

وكان الكابتن لوفت يجمع حاجياته في ذراعيه وهو يقول

« لا أخالها تبدو جميلة هنا يا حضرة الملازم ، يحسن بك أن

تنزلها ، فانها لا تبعث تأثيرا طيبا في المواطنين » .

ورفع هنتر عينيه عن لوحته « عم تتكلم ؟ » ثم نظر الى

الصورة « من هذه » فقال براكل « انها ممثلة » ونظر هنتر

اليها بانعام وقال « آه .. هل تعرفها ؟ » .

فقال توندر « انها أفافة » فقال هنتر « هيه ... ! فأنت

تعرفها اذن » .

وقال براكل وقد ثبت ناظريه على توندر « والا فكيف
عرفت أنها أفافة » فقال توندر « ان لها مظهر الأفاقات » .

— فهل تعرفها ؟

— لا .. ولا أريد أن أعرفها .

وعاد براكل يقول « اذن فكيف عرفت .. » ولكن لوفت
قاطعها قائلاً « يحسن بك أن تنزل الصورة .. ضعها فوق
سريرك اذا شئت ، فان هذه الحجرة شبه رسمية » .

ونظر براكل اليه في تمرد وهم بحديث منعه عنه الكابتن
لوفت بقوله « انه أمر أيها الملازم » وهكذا طوى براكل
المسكين ورقته وأودعها جيبه وحاول في مرح أن يغير موضوع
الحديث فقال « ان هذه المدينة تضم بضعا من الفتيات
الجميلات ، وقد عزمت — حين تستقر الأمور ويسلس
قيادها — أن أتعرف على بعضهن » .

وقال لوفت « يحسن بك أن تقرأ النشرة العسكرية
رقم ١٢ فان بها فصلا عن الناحية الجنسية » ثم خرج يحمل
منظاره ومعداته وقال الملازم توندر وهو ما زال واقفا على
كتفى هنتر « يا له من نشاط .. ان سيارات الفحم تخترق
المناجم الى السفينة » .

وترك هنتر عمله في بطاء وقال « علينا أن نزيد هذا

النشاط .. فانه لا بد الا تتوقف عملية شحن هذا الفحم أبدا ..
وانه عمل كبير ولكم أحمد الله على أن القوم هنا هادئون
ومعقولون .

وعاد لوفت الى الغرفة بغير معداته ووقف الى النافذة
ينظر تجاه الميناء ومنجم الفحم ثم قال « انهم هادئون ومعقولون
لأننا هادئون ومعقولون ، واننا نستحق التقدير من أجل هذا ،
ولهذا تجدنى مصرا على استمرار العملية فهى تسير فى دقة
بالغة .

وفتح الباب وبدا الكولونيل لانسر ، وما أن دخل حتى
خلع معطفه ، وحياه ضباطه التحية العسكرية . قال لانسر
« هل لك أن تذهب الى بنتيك لتحل محله فى نوبته يا كابتن
لوفت ، فهو على غير ما يرام ويقول انه مصاب بديوار .

وقال لوفت « أمرك يا سيدى .. ولكن هل لى أن أوضح
يا سيدى أنتى تركت العمل الآن فقط » وتفحصه لانسر بأنعام
ثم قال « أرجو الا يضايقك الذهاب يا كابتن .

— انه لا يضايقنى مطلقا يا سيدى وانما أردت فقط أن
أوضح الأمر ليذكر عند التقرير .

وراح لانسر يقهقه فى استرخاء وقال « انك تحب أن تذكر
فى التقارير .. أليس كذلك » .

— ان هذا لا يضر يا سيدى .

وتابع لانسر حديثه قائلاً ، « وحينما تذكر مرات كافية ستكون هناك أوسمة صغيرة على صدرك » .

— انها درجات الصعود فى الحياة العسكرية يا سيدى .

وتنهى لانسر قائلاً « نعم أعتقد أنها كذلك ، ولكن لن تبقى هذه الأوسمة فى ذكريات حياتك العسكرية فيما بعد يا كابتن » .

وسأل لوفت « ماذا تعنى يا سيدى ؟ » .

— ربما تدرك ما أعنيه فيما بعد .

واستعاد الكابتن لوفت معداته فى سرعة « نعم يا سيدى » ثم خرج وأخذت خطواته تصك درجات السلم الخشبية وراح لانسر يرقبه وكأنه يتسلى بمنظره ثم قال فى هدوء « هكذا يخرج جندى أصيل » ورفع هتتر ناظريه وحرك قلمه قائلاً « أو حمار أصيل » فقال لانسر « لا ، فانه يعتنق الجنديّة كما يعتنق كثير من الناس مذهبهم السياسى ، وسوف ينال منصباً فى القيادة فى وقت قصير ، وحينئذ سينظر الى الحرب من أعلى وهكذا سيظل على حبه لها » وقال الملازم پراكل « وترى متى تنتهى الحرب يا سيدى » .

— تنتهى؟! تنتهى؟ ماذا تعنى .

وتابع پراكل حديثه « متى تنتصر؟ » وهز لانسر رأسه
قائلا « آه .. أما أنا فلا أدرى ، فما زال العدو يملأ الدنيا »
فقال پراكل « ولكننا سنبتلعهم » فقال لانسر « نعم » .

— ألا يمكننا أن تفعل ذلك؟

— نعم .. نعم .. فائنا دائما نبتلعهم .

فقال پراكل فى لهفة « والآن وقد اقتربنا من عيد الميلاد
أما تظنهم سيمنحونا بعض الأجازات؟ » فقال لانسر
« لا أدرى ، فمثل هذه الأوامر لا بد أن تصدر من السلطات
الحاكمة .. أتريد أن تكون بيتك فى عيد الميلاد؟! » .

— حسنا ، أظننى أريد ذلك .

— لعلك ستكون هناك .. لعلك تذهب .

وقال-الملازم توندر « ان احتلالنا لهذه البلاد لن ينتهى
بنهاية الحرب يا سيدى .. أليس كذلك » فقال لانسر
« لا أدرى ، لماذا تسأل؟ » فقال توندر « انها بلاد جميلة
وشعبها طيب ، ان رجالنا .. أقصد بعض رجالنا سيتوطنون
هنا » وقال لانسر فى مداعبة « لعلك وقعت على مكان يعجبك؟ »
فقال توندر « حسنا ، ان ثمة مزارعا جميلة هنا ، فلو أن أربعا

منها أو خمسا ضمت الى بعضها لتهاى مكان جميل للمقام فيما
أعتقد» وسأله لانسر « أليست لأسرتك مزارع » .

— لا يا سيدى لم يعد لنا مزارع فقد أتى عليها التضخم

المالى .

وضاق لانسر بهذا الحديث الصياني فقال « على كل
ما زالت أمامنا حرب نخوضها ، وما زال أمامنا فحم ننقله ،
أتظننا باقين هنا حتى تنتهى الحرب وحتى نبني هذه الدولة
مثل هذه الأوامر تصدر من أعلى ، ويستطيع الكابتن لوفت
أن يحدثك فى هذا » ثم غير طريقة حديثه وقال « ان الصلب
الذى تطلبه سيكون هنا غدا يا هنتر ، وتستطيع جرارتك أن
تبدأ العمل فى الأسبوع المقبل » وحينئذ سمع طرق على الباب
وأدخل أحد الحراس رأسه وقال « المستر كوريل يريد لقاءك
ياسيدى » فقال الكولونيل « أدخله » ثم قال للآخرين « هذا
هو الذى قام بالأعمال التمهيدية هنا ، وأظننا سنلقى منه
بعض المتاعب » وسأل توندر « هل أحسن القيام بعمله ؟ » .

— نعم ، ولن يكون محبوبا من الشعب هنا ، وانى

أتساءل ان كان سينال مودتنا .

فقال توندر « انه جدير بتقديرنا فعلا » فقال لانسر « نعم ،

ولا تحسب أنه لن يطالب بهذا التقدير » .

ودخل كوريل يفرك يديه ، وقد ارتسمت على وجهه سمات
المودة وحسن النية . وكان لا يزال مرتديا حلتة السوداء وان
كان قد زاد عليها رباطا أبيض على رأسه ألصقه بشعره شريط
في شكل صليب ، وتقدم الى وسط الحجرة وقال « صباح
الخير يا سيدى الكولونيل ، كان على أن أحضر بالأمس بعد
ما حدث من متاعب في الطابق الأسفل ولكننى أعرف الى
أى مدى أنت مشغول » فقال الكولونيل « صباح الخير »
ومع حركة دائرية من يديه قال « هؤلاء هم أركان حربى
يا مستر كوريل » فقال كوريل « انهم شبان ممتازون ، لقد
قاموا بعمل جليل .. حسنا فقد حاولت أن أمهد لهم ..
حسنا .. »

وعاد هنتر ينظر الى لوحته ثم أخرج قلم تحبير وغمسه
في الدواة وراح يحبر رسمه وقال لانسر « لقد أحسنت عملك
تماما ، ولكننى كنت أتمنى لو لم تقتل هؤلاء الرجال الستة
.. كنت أتمنى لو لم يعد هؤلاء الجنود » وبسط كوريل
يديه وقال مواسيا « ان ستة رجال خسارة ضئيلة في سبيل
بلدة متسعة مثل هذه تضم منجم فحم » . وقال لانسر في
حزم « أنا لا أعارض في قتل الناس اذا كان هذا ينهى القتال ،
ولكن في بعض الأحيان يحسن الامتناع عن القتل » . وكان

كورييل يتفحص وجوه الضباط ، ويلقى نظرات جانبيه الى الكولونيل ثم قال « ترى هل نستطيع أن نتكلم على انفراد يا سيدى الكولونيل » فقال الكولونيل « نعم اذا أردت ، يا ملازم پراكل وأنت يا توندر هل لكما أن تذهبا الى حجرتكما » ثم قال الكولونيل لكورييل « ان الماجور هنتر يعمل ، وهو حين يعمل لا يسمع شيئا » ورفع هنتر عينه عن لوحته وابتسم بهدوء ثم عاد الى لوحته ، وترك الملازمان الصغيران الحجره وحين اختفيا قال لانسر « حسنا .. ها نحن أولاء وحدنا .. هلا جلست » وقال كورييل « شكرا يا سيدى » ثم جلس خلف المنضدة ونظر لانسر الى الرباط على رأس كورييل ثم قال فى اقتضاب « هل بدأوا فعلا فى محاولة قتلك ؟ » وتحسس كورييل الرباط بأصابعه وقال « تقصد هذه .. آه .. انها اصابة من حجر سقط على هذا الصباح من صخرة فى التلال » .

— هل أنت واثق انه لم يقذف عليك ؟

وسأل كورييل « ماذا تقصد ؟ انهم ليسوا قوما قساة ، انهم لم يشهدوا حربا منذ مائة عام ، لقد نسوا كل ما يتعلق بالقتال » فقال الكولونيل « حسنا ، انك تعيش بينهم ، وأنت أعرف بهم منى » وخطا قريبا من كورييل ثم قال « ان تكن فى أمن الآن فاعلم ان هؤلاء القوم يختلفون عن جميع

شعوب العالم .. لقد طالما مهدت لاحتلال بلدان من قبل ..
لقد كنت في بلجيكا وفرنسا من عشرين عاما .. « وهز رأسه
هزة خفيفة كأنما يريد أن يوضح ما يقصد اليه ثم قال في
خشونة » لقد أحسنت عملك ، وعلينا أن نشكرك ، وقد
ذكرت ما قمت به في تقريرى « فقال كوريل « شكرا
يا سيدى ، لقد بذلت كل جهدى « فقال لانسر فى شىء من
الضيق « حسنا يا سيدى ، والآن ماذا نستطيع أن نعمل لك ،
أتحب أن تعود الى العاصمة ، اننا نستطيع أن نهىء لك مكانا
على ناقلة فحم اذا كنت فى عجلة من أمرك ، أو على مدمرة
اذا طاب لك أن تترىث « فقال كوريل « ولكننى لا أريد
العودة الى العاصمة ، اننى باق هنا « وفكر لانسر هنيهة
ثم قال « أنت تعلم ان قواتى قليلة العدد ، ولا أستطيع أن
أحيطك بحراسة كافية » .

— ولكننى لا أحتاج حراسة ، لقد قلت لك ان القوم
هنا لا يميلون الى العنف .

وألقى لانسر نظره الى الرباط بينما رفع هنتر بصره عن
اللوحة وقال معلقا « يحسن بك أن تتخذ خوذة على رأسك »
ثم أعاد نظره الى عمله . ومال كوريل الى الأمام فى جلسته
ثم قال « انما أريد أن أحادثك أنت يا كولونيل ، أظن اننى
سأكون ذا فائدة فى السلطات المدنية » .

واستدار لانسر على عقبيه ومشى الى النافذة ونظر منها

ثم التفت الى كوريل وقال في هدوء « فيم تفكر ؟ » .
— حسنا ، يجب أن تقيم سلطة مدنية تثق بها ، وأظن
انه يجمل بالعمدة أوودن أن يتنازل عن منصبه ، فاذا حلت
مكانه فان السلطتين المدنية والعسكرية سيتعاونان في سر
معا .

وبدت أعين لانسر وكأنها تتسع بالبريق ، واقترب من
كوريل ثم تكلم في حدة « هل ذكرت هذا في تقريرك ؟ »
فقال كوريل « حسنا .. نعم .. ذكرته في تحليلى
للموقف .. » وقاطعه لانسر قائلاً « فهل حادث أحدنا من
المواطنين عن العمدة منذ قدومنا » فقال كوريل « حسنا ..
لا .. أنت ترى انهم ما زالوا ذاهلين ، فما كانوا يتوقعون
ما حل بهم » ثم ضحك وقال « لا يا سيدى ، انهم بالتأكيد
لم يتوقعوا ما حل بهم » ولكن لانسر صمم على سؤاله
« اذن فأنت لا تعرف حقيقة ما يدور بأذهانهم » فقال كوريل
« انهم ذاهلون وكأنهم في حلم » فسأله لانسر « فأنت
لا تدري موقفهم منك ؟ » .

— ان لى أصدقاء عديدين ، واعرف كل شخص هنا .

— فهل اشترى أحد شيئاً من دكانك في يومك هذا ؟

فأجاب كوريل « حسنا .. ان السوق راكدة ، ولا أحد
يشترى شيئاً » .

واسترخى لانسر فجأة وذهب الى كرسى وجلس اليه

ووضع احدى رجليه على الأخرى وقال في هدوء « انك تعمل

في أصعب فرع في الخدمة العسكرية وهو أكثر الفروع حاجة
للمشجاعة ، ويجب أن تجزل لك المكافأة » .

— شكرا يا سيدي .

فقال الكولونيل « وسوف تنال كراهيتهم في حينها » ؟

— أستطيع أن أواجه هذا يا سيدي ، فانهم الأعداء .

وتردد لانسر لحظة طويلة قبل أن يقول في نعومة « انك
حتى لن تنال احترامنا » وقفز كوريل على قدميه في اضطراب
قائلا « ان هذا يناق قول الزعيم ، فهو يقول ان جميع
العاملين في الخدمة العسكرية جديرون بالاحترام » .

وتابع لانسر حديثه وهو في غاية الهدوء « ليت الزعيم
يعرف ، ليته يتعمق عقلية الجنود » ثم قال في حماسة « يجب
أن نجزل لك المكافأة » وسكت لحظة ثم استجمع قائلا « آن
لنا أن نواجه الحقيقة ، اننى المسئول هنا ، ومهمتى أن
استخرج الفحم ، وحتى أنجز هذه المهمة لا بد لى أن أقر
الأمن والنظام ، وحتى يستقر الأمن والنظام لا بد لى أن أعلم
ما يجرى في عقول هؤلاء القوم ، يجب أن أتوقع الثورة ..
هل تعى ما أقول » وقال كوريل « حسنا ، فاننى أستطيع
أن آتيك بما تريد معرفته ، وان أصبحت عمدة لهذه البلدة
تهياً لى أن أدعم مكانكم هنا » .

وهز لانسر رأسه « ليست لدى تعليمات تتعلق بهذا

الشأن فالرأى فى هذا متروك لى وحدى ، واعتقادى انك
لن تستطيع بعد اليوم أن تعرف ماجريات الأمور هنا ، فان
أحدا من الشعب لن يحدثك ، ولن يقترب منك الا هؤلاء
الذين لا يحيون الا من أجل المال ، ويخيل الى انك محتاج
الى حراسة والا تعرضت الى خطر داهم ، وانه يسرنى أن
تعود الى العاصمة ، هناك حيث تكافأ على عملك الجليل »
وقال كوريل « ولكن مكانى هنا يا سيدى وقد اخترته
أنا لنفسى ، وذكرت ذلك جميعا فى التقرير الذى رفعته » .

وتابع لانسر حديثه وكأنه لم يسمع شيئا « ان العمدة
أوردن يمثل أكثر من وظيفة العمودية .. انه الشعب ، فهو
يعلم ما يعملون كما يعرف ما يفكرون فيه دون أن يسأل
واحدا منهم عن شىء من ذلك ، فهو يفكر كما يفكرون فكأننى
إذا راقبته أراقبهم جميعا .. لا بد أن يظل فى منصبه ، وهذا
هو قرارى » وقال كوريل « ان عملى يا سيدى يستحق
معاملة أفضل من ارسالى الى الخارج » فقال لانسر فى ببطء
« نعم انه يستحق ، ولكن بقاءك الآن قد يعوق عملا أكبر
أن يتم ، ان كنت لم تكره بعد فسوف يكرهونك ، وان
نشبت ثورة مهما تكن واهية فانت أول قتيل فيها ، أظننى
سأقترح عودتك » وقال كوريل فى جفاء « ولكنك ستسمح لى
طبعاً أن أنتظر اجابة على تقريرى الذى أرسلته الى العاصمة »
— نعم بالطبع ، ولكننى سأنصح بعودتك لأضمن لك

السلامة ، انك يا مستر كوريل — بصراحة — لا قيمة لك هنا ، ولكن قد تكون هناك خطط جديدة لاحتلال بلاد أخرى ، ولعلك ترسل لاحدى مدن هذه البلاد ، فتكتسب ثقة جديدة فى ميدان جديد ، ولعل العمل يناط بك فى مدينة كبيرة قد تكون عاصمة حيث تتعلق بك مسئوليات أضخم . سأطلب فى امتداح عملك هنا » .

وكانت عينا كوريل تفيضان بالرضى حين قال « شكرا يا سيدى فقد أديت واجبى ، ولعلك على حق ولكنك ستسمح لى أن أنتظر رد العاصمة » .

وكان صوت لانسر حازما وعيناه بارقتين وهو يقول فى قسوة « ضع خوذة على رأسك ، واقبع داخل منزلك ولا تخرج فى المساء ، وقبل كل شىء حذار أن تشرب الخمر ولا تثق فى أية امرأة أو أى رجل ، اتفهم ما أقول » ؟

ونظر كوريل الى الكولونيل وكأنه يرثى له وقال « أظن انك أنت لا تفهم الموقف هنا ، فأنا أملك منزلا صغيرا تقوم على خدمتى فيه حسناء من الريف ، ويخيل الى أنها مغرمة بى الى حد ما ، انهم قوم بسطاء مسالمون وانى أعرفهم » .

فقال لانسر « ليس هناك قوم مسالمين .. متى تتعلم هذا .. وليس هناك شعب صديق ، لقد احتلنا هذه البلاد ، وأنت — بما يسمونه خيانة — هيات لهذا الاحتلال » واحتقن وجهه وأخذ صوته يعلو وتابع قوله « ألا تستطيع أن

تفهم اننا فى حالة حرب مع هذا الشعب « فقال كوريل « لقد
هزمتنا هذا الشعب » .

ووقف الكولونيل ورفع ذراعيه فى يأس ورفع هتتر عينيه
عن لوحته ومد يده ليحى الرسم من الاهتزاز وقال
« احترس يا سيدى فانتى احبر الرسم ، ولن أستطيع أن
أرسمه مرة أخرى » .

وخفض لانسر بصره اليه وقال « آسف » وتابع حديثه
وكأنه يحاضر فصلا فى مدرسة « ان الهزيمة أمر عارض
لا يدوم ، لقد لاقينا الهزيمة ، ثم ها نحن أولاء نهاجم الآن ،
ان الهزيمة لا تعنى شيئا .. ألا تستطيع أن تفهم هذا ، أتدرى
ما ينتهامسون به وراء الأبواب ؟ » فسأله كوريل « أتدرى
أنت ؟ » .

— لا ، ولكننى أستنتج .

فقال كوريل فى خبت « أتخاف أيها الكولونيل ؟ أيجوز
لقائد الاحتلال أن يخاف ؟ » .

جلس لانسر فى تهاقل وقال « لعل الأمر كما تقول » ثم
قال فى اشمزاز « لقد سئمت من هؤلاء الذين لم يشهدوا حربا
ثم يعرفون كل شىء عن الحرب » وتحسس ذقنه قائلا
« أذكر امرأة عجوزا ضئيلة الجسم فى بروكسل ، كانت
جميلة الوجه ، بيضاء الشعر ، وكانت قامتها لا تزيد عن

خمس أقدام ، وكانت يداها رقيقتين ، يبدو عليهما الكبر حتى لكان يمكنك أن ترى عروقها الضاربة الى السواد من خلال جلدها ، يغطى شعرها المائل الى الزرقة شال أسود ، لقد دأبت هذه السيدة أن تغنى لنا أناشيدها الوطنية في صوت حلو أو عشه الكبر ، وكانت تعرف دائما أين تجد السجائر .. والعذارى « وأنزل يده عن ذقنه وأمسك بنفسه وكأنه يحمى جسمه من السقوط ثم قال « لم نكن نعلم اننا أعدمنا ابنا ، وهكذا أعدمناها بعد أن قتلت منا اثني عشر رجلا بدبوس كبير أسود مما يعلقه النساء على قبعاتهن وما زلت احتفظ به حتى الآن ، ان له رأسا مطليا مرسوم عليه طائر » .

وقال كوريل « ولكنكم أعدتموها ؟ » .

— بالطبع أعدمناها .

وسأل كوريل « وتوقف القتل ؟ » .

— لا .. لم يتوقف القتل ، وعندما انسحبنا أخيرا ، قطع الشعب الطريق على فلول الجيش المتخلفة ، وأحرقوا بعضا منهم وسملوا عيون بعض آخرين ، بل لقد صلبوا بعض الجنود .

وقال كوريل في صوت مرتفع « ليس هذا بالذى يحسن قوله هنا يا أيها الكولونيل » وقال لانسر « انها ليست بالأشياء التي يطيب تذكرها » .

فقال كوريل « لا يليق بك أن تكون قائدا اذا كنت

تخاف « وأجاب لانسر في هدوء « انى أعرف كيف أحارب ،
وان عرفت كيف تحارب تفاديت الوقوع فى أخطاء سخيفة »
— أهكذا تكلم صغار الضباط .

وهز لانسر رأسه قائلاً « لا ، فما كانوا ليصدقونى
لو فعلت » .

— فلماذا تخبرنى بهذا ؟

— لأنك قد أتممت عملك يا مستر كوريل ، فانى أذكر
مرة ..

وعندما بدأ هذا الحديث علت أصوات أقدام تصعد
السلام وانفجر الباب مفتوحاً ، وبدأ حارس فى فتحته بينما
اندفع عبره الكابتن لوفت . وكان لوفت جامداً فى برود
عسكرى وقال « هناك اضطرابات يا سيدى » .

— اضطرابات ؟

— على أن أعلن سيدى ان الكابتن بنتيك قد قتل .

فقال لانسر « .. آه .. حقاً .. بنتيك » .

وبدا صوت عدد من الاقدام على السلام ، بينما دخل
جنديان يحملان نقالة عليها جثة مغطاة بالملاءات .

فقال لانسر « هل أنت واثق انه مات ؟ » وقال لوفت فى

جمود « واثق تماماً » .

وخرج الملازمان من غرفة النوم وقد فغر كل منهما فمه

وغشى الخوف أنظارهما وقال لانسر « ضعوه هناك » ثم أشار الى جدار بجانب الشباك ، وعندما خرج الجنديان ركع لانسر وأزاح جانبا من الغطاء ثم اعادة في سرعة ، ونظر الى لوفت وهو ما يزال راكعا وقال « من فعل هذا » فقال لوفت « عامل بالمنجم » .

— ولماذا ؟

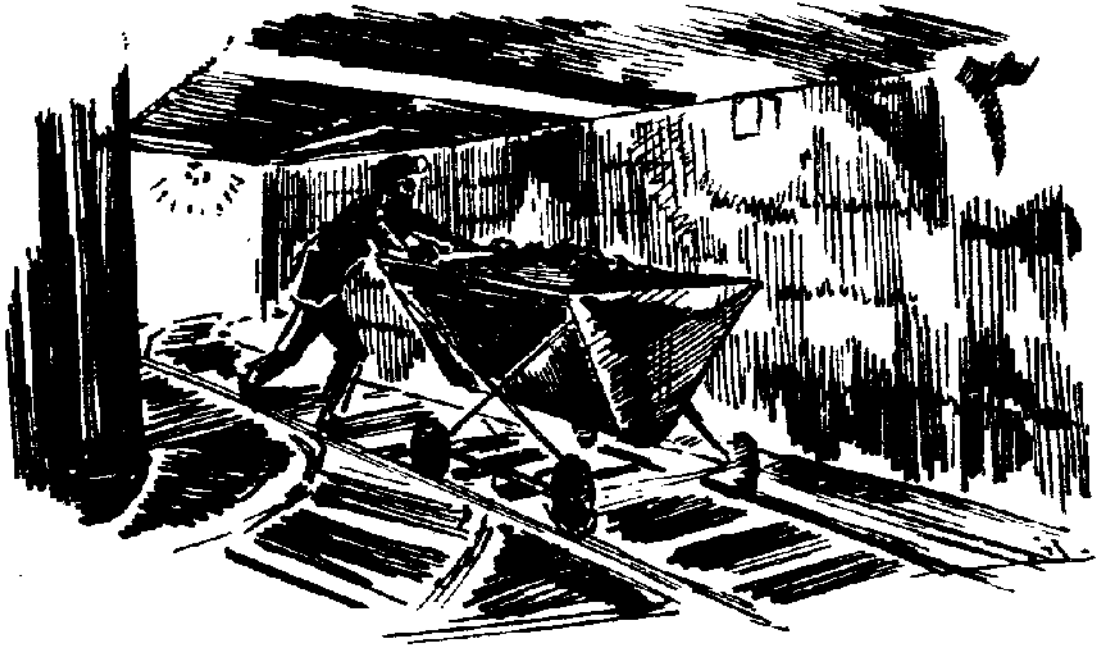
— لقد كنت هناك يا سيدى ؟

— حسنا .. فأبلغ تقريرك اذن .. أبلغ تقريرك بحق الشيطان أيها الرجل .

وانتصب لوفت في وقفته وقال في لهجة رسمية .. « لقد حلت محل الكابتن بنتيك تنفيذا لأمر الكولونيل ، وكان الكابتن بنتيك على وشك أن يتركنا ليأتى الى هنا ، حين نشبت مشادة بينى وبين عامل منجم متمرد أراد أن يترك العمل وصاح بما يشير الى انه رجل حر ، وحين أمرته أن يعود الى عمله اندفع الى يحمل معوله ، وحاول الكابتن بنتيك أن يتداخل » وأوماً الى الجثة ايماءة خفيفة . وهز لانسر رأسه ببطء وهو ما يزال راكعا وقال « كان بنتيك رجلا غريبا كان يحب الانجليز ، ويجب كل ما يتصل بهم ، أنا لا أظن انه أحب القتال كثيرا .. هل قبضت على الرجل ؟ » فقال لوفت « نعم يا سيدى » ووقف لانسر ببطء وتحدث فكأنه يحدث نفسه « وهكذا نبدأ ثانية ، سوف نرمي هذا

الرجل بالرصاص فنصنع عشرين عدواً جديداً ، هذا هو
الشيء الوحيد الذي نعرفه .. الشيء الوحيد الذي نعرفه «
وقال يراكل « ماذا تقول يا سيدي ؟ » فأجابته لانسر
« لا شيء .. لا شيء على الاطلاق ، انما كنت أفكر » ثم
تحول الى لوفت وقال « أرجوك أن تبلغ تحياتي الى العمدة
أوردن واسأله أن يأتي لأراه فوراً ، هذا مهم جداً » .

ورفع المايجور هنتر بصره وجفف حبر قلمه في عناية
ووضعه في علبة مبطنة بالقطيفة .



كان الناس يسعون في كآبة خلال شوارع البلدة ، وقد أخذت الدهشة تزول شيئاً فشيئاً عن عيونهم ، ولم يكن الغضب قد حل مكان الدهشة بعد ، ففي نوبات العمل عند مدخل المنجم كان العمال يدفعون عربات الفحم في أسى ، وكان صغار التجار واقفين في حوائثهم ليلبوا طلبات الناس ، ولكن لا أحد من هؤلاء الناس يطلب اليهم شيئاً . وكان الناس يتبادلون الجمل المقتضبة ، يفكر كل فرد منهم في الحرب وفي نفسه وفي ذلك الماضي الذي تغير فجأة .

وفي غرفة الاستقبال بقصر العمدة أوردن ، كانت تشتعل نار هادئة اللهب وكانت الأنوار مضاءة ، فقد كان اليوم أغبر في الخارج وكان الهواء محملاً بالصقيع ، وكانت ثمة تغييرات تحدث في الغرفة نفسها ، فالمقاعد المغطاة بالسجاجيد

قد دفعت الى الخلف ، والمنضدة الصغيرة قد أزيحت عن الطريق ، ومن خلال الباب الأيمن كان جوزيف وآنى يجاهدان ليدخلا مائدة طعام ضخمة مربعة ، فهما يقلبانها على جانبها ، وكان جوزيف فى غرفة الاستقبال بينما بدا وجه آنى الأحمر من خلال الباب وعالج جوزيف ادخال الأرجل مائلا بها يمنة ويسرة ثم صاح « لا تدفعى المنضدة الآن يا آنى » فقالت آنى الغاضبة ذات الأنف الأحمر والعينين الحمراوين « عارفة » . وكانت آنى دائما غاضبة بعض الشيء ، حتى لم يستطع هؤلاء الجنود أو هذا الاحتلال أن يطوع ثأرها ، وهكذا فجأة أصبح شعورا وطنيا ما كان يعتبره الناس سوء خلق فيها . وقد اكتسبت آنى بعض الشهرة فى مجال الحرية لأنها قذفت جنود الاحتلال بالماء المغلى ، وقد كانت خليقة أن تقذف بهذا الماء أى انسان يقترب الى بابها ، ولكن على أية حال قد حدث وأصبحت احدى البطلات .

ولما كان الغضب هو الخطوة الأولى التى سعت بها الى الشهرة فقد اتخذته آنى وسيلة الى شهرات جديدة ، مقحمة نفسها دائما فى مواطن الغضب الدائم الثورة .

قال جوزيف « حذار أن يحنك جانب النضد بالأرض » ولكن النضد استعصت على المرور من الباب فحذر جوزيف آنى قائلا « اثبتى » فقالت آنى « انى ثابتة » . واعتدل جوزيف وأخذ يدرس موقف المنضدة بينما شبكت آنى ذراعيها وراحت تحملق فى جوزيف واختبر جوزيف رجلا من

أرجل المنضدة ثم قال « لا تدفعى ، لا تدفعى المنضدة بهذا العنف » ثم راح وحده يجذب النضد الى داخل الحجرة حتى دخلت بينما تبعته آنى وقد اشتبكت ذراعاها ، وقال جوزيف « الآن فلتقم على أرجلها » فراحت آنى أخيراً تعاونه فى اقامة المنضدة على أرجلها الأربع ثم فى دفعها الى وسط الحجرة ثم قالت « أخيراً . لو لم يأمرنى سعادة العمدة لما قبلت أن أقوم بهذا العمل » بأى حق يحركون المناضد خلال البيت . فقال جوزيف « وأى حق ترينه فى مجيئهم على الاطلاق » فقال آنى « ولا حق » فأعاد جوزيف « ولا حق ، بل اننى أرى ألا حق لهم فى شىء مما يفعلونه جميعاً ، ولكنهم يفعلونه ، مؤيدين بسلاحهم ومظلاتهم الهابطة انهم يفعلون ما يريدون يا آنى » فقالت آنى « ولكن بغير حق ، وعلى أية حال ماذا يريدون من منضدة تقام هنا وليست هذه غرفة للطعام » وقرب جوزيف كرسيّاً الى المنضدة ووضعها فى دقة على البعد المناسب من المنضدة ثم هياها لاستقبال لجالس .

وقال « انهم سيقيمون محاكمة ، سيحاكمون الكسندر موردن » .

— زوج مولى مورون ؟

— زوج مولى مورون .

— لأنه قتل رجلهم بسعوله ؟

فقال جوزيف « نعم » فقالت آنى « ولكنه شاب طيب ،

انه لا يحق لهم أن يحاكموه ، لقد أهدي مولى فستانا أحمر

فاخرا في عيد ميلادها . أى حق لهم في محاكمة الكس ؟ »
فقال جوزيف « حسنا .. انه قتل رجلهم » فراحت آنى تثرثر
قائلة « وان يكن قتله ، لقد كان الضابط يأمره ليعود الى
العمل ، لقد سمعت بما حدث ، ان الكسى يكره أن يأمره
أحد ، فقد تعود أن يكون رجلا حرا أيبا ، وكذلك كان أبوه
من قبل ، وان مولى موردين تصنع الفطائر المتقنة ، وان
كانت الطبقة البيضاء تتجمد منها ، ماذا تراهم فاعلين
بالكس ؟ » فقال جوزيف مكفها « سيرمونه بالرصاص » .
— انهن لن يفعلوا ذلك .

— قربي الكراسى يا آنى ، بل سيفعلون ، نعم سيفعلونها .
ولوحت آنى بأصبع مشدودة الى وجهه وقالت فى غضب
« تذكر ما سأقوله لك ، ان الناس لن يرضوا على ايداء
الكس ، فان القوم يحبون الكس ، أرايته يسىء الى أحد
فى حياته ؟ أجب على هذا السؤال » فقال جوزيف « لا » .
— حسنا .. اتفقنا ، اذا أصابوا الكس بالأذى فسيثور
من الناس ثأرهم ، بل اننى أيضا سيثور ثأرى ، ولن أسكت
على ذلك .

فسألها جوزيف « وماذا تراك تفعلين ؟ » فقالت آنى
« ماذا ! سأقتل بعضا منهم بيدي » فقال جوزيف « وحينئذ
يعدمونك » .

— فليفعلوا ، ها أنذا أخبرك يا جوزيف ان الأمور قد

تجرى الى اسوأ مدى ، سيضطرون الى التنقيب طوال الليل
وسيقتلون الناس .

وأعد جوزيف أحد الكراسي على رأس المائدة وأصبح
— بطريقة عجيبة — متأمرا ، فهو يقول في صوت خفيض
« آنى » وفهمت آنى مغزى هذه النبوة الخفيضة فمشت
حتى اقتربت منه فقال لها « اتكتمين السر ؟ » فنظرت اليه
في شيء من الاعجاب لأنه لم يكن رجل أسرار من قبل أبدا
وقالت « نعم ، ما وراءك ؟ » .

— حسنا ، وليم ويل ، وولتر دووجل هربا ليلة أمس .

— هربا ؟ الى أين ؟

— هربا الى انجلترا فى قارب صغير .

فتنهدت آنى فى ارتياح ولهفة ثم قالت « أيعرف الجميع
هذا الأمر » فقال جوزيف حسنا .. ليس الجميع .. الجميع
.. ما عدا .. » ثم أوما أيماءة سريعة بأصبعه تجاه السقف :

— ومتى رحلا ، ولماذا لم أسمع شيئا عن هذا الأمر ؟

فقال جوزيف « لقد كنت مشغولة » ثم اتخذ وجهها جامدا
وأصبح صوته باردا وهو يقول « أتعرفين كوريل هذا ؟ » .
— ماله ؟

واقترب جوزيف منها قائلا « ما أظنه سيعيش طويلا »

فسألته آنى « ماذا تقصد » .

— حسنا ، ان الناس يتكلمون .

فتنهدت آنى من أعماقها قائلة « آه وأصبح جوزيف
ذا رأى أخيراً فهو يقول « ان القوم يتضافرون فما يرضيهم
أن تحتل بلادهم ، وان أموراً في طريقها الى الحدوث ، فلتنظر
عينك يقظتين يا آنى ، فانه سيعهد اليك بأعمال تؤدينها»
فسأته آنى « وماذا عن سعادة العمدة ؟ ماذا سيفعل ؟
ما موقعه من هذه الأمور ؟ » فقال جوزيف « لا أحد يعلم
فهو لا يقول شيئاً » فقالت آنى « انه لن يكون ضدنا »
فقال جوزيف « انه لا يتكلم » .

ودار مقبض الباب الأيسر ودخل العمدة أوردن في مشية
بطيئة وقد بدا عليه الكبر والاجهاد ، ومن خلفه كان يمشى
الدكتور ويتتر وقال أوردن « هذا حسن يا جوزيف ، شكراً
يا آنى ، لقد أحسنتما اعدادها » وخرج الخادمان ، ونظر
جوزيف خلفه من خلال الباب قبل أن يقفله . وسار العمدة
أوردن الى المدفأة ، وأزاح الدكتور ويتتر الكرسي عن رأس
المائدة وجلس عليه وقال أوردن « انى أسألك الى متى
أستطيع الثبات على هذا الموقف فثقة الناس بى غير كاملة ،
وكذلك الشأن مع الأعداء ، وانى لأتساءل ان كان هذا موقفاً
سليماً » فقال ويتتر « لا أدرى ، ولكن أنت تثق بنفسك ،
أليس كذلك ، ان دخيلة نفسك لا يساورها الشك » فصاح
أوردن « الشك ! لا فانى أنا العمدة ، ولكنى لا أفهم أموراً
كثيرة » ثم أشار الى المنضدة وتابع حديثه « فأنا لا أدرى
لماذا يريدون أن يقيموا محاكمتهم هنا فى بيتى ، انهم سيحاكمون

الكس موردن هنا بتهمة القتل ، أتذكر الكس ، أنه زوج
مولى تلك الفتاة الصغيرة الجميلة « فقال وينتر « انى أذكرها
فقد كانت مدرسة بالمدرسة الثانوية ، نعم انى أذكرها ، انها
في غاية الجمال حتى لتكره أن تلبس نظارة برغم حاجتها اليها
أعتقد ان الكس قتل ضابطا بالفعل ، ان أحدا لا يناقش في
هذا فلماذا يحاكمونه ، ما لهم لا يعدمونه ، فان اعدامه ليس
محل شك أو ثقة ، ولا هو مجال عدل أو ظلم ، لا شيء من
هذا يتصل بما نحن فيه ، فمالهم بصرون على محاكمته وفي
بيتي « فقال وينتر « اننى أعتقد انهم يريدون استكمال
المظاهر ، ان لهم هدفا يسعون اليه من وراء ذلك فانك تنال
الشيء . اذا راعيت ما يقتضيه من شكليات ، وقد يقتنع
الناس أحيانا بمظاهر الأشياء ، ألا ترى انه كان لدى جيش ،
جنود يحملون سلاحا ، ولكنه لم يكن جيشا ، والمحتلون
سيقيمون محاكمة ، وهم يأملون أن يقتنع الناس ان ثمة
عدلا يسودهم ، لقد قتل الكس الملازم كما تعلم « وقال
أوردن « نعم ، انى أدرك ما ترمى اليه « وتابع وينتر حديثه
« فاذا أقيمت المحاكمة في بيتك حيث يتوقع الناس العدل .. »

وقوطع وينتر بالباب الأيمن يفتح ، ودخلت سيده شابة
في الثلاثين من عمرها في غاية الرشاقة ، تحمل نظارتها
في يدها ، وترتدى ملابس بسيطة مهندمة ، وكانت السيدة
مضطربة كل الاضطراب وتكلمت في سرعة قائلة « طلبت

الى أنى أن أدخل مباشرة يا سيدى « فقال العمدة « ولم لا ،
بالطبع يمكنك الدخول ، أنت مولى موردن » .

– نعم يا سيدى أنا مولى موردن ، يقولون ان الناس
سيحاجكم ويعدم .

فخفض أوردن نظره الى الأرض هنيهة وتابعت مولى
حديثها « يقولون انكم ستحكمون عليه بالإعدام ، انها
كلماتك التى سترسله الى الموت » ورفع أوردن نظره فى
رجفة « ماذا تعنين ؟ من قال هذا ؟ » فقالت « الناس فى
البلدة » وانتصبت فى وقفها ، وسألت فى نبرة تضطرب بين
التوسل والأمر « لن تفعل هذا ، اتفعله يا سيدى ؟ » فقال
« كيف يعرف الناس ما لا أعرف ؟ » وقال الدكتور وينتر
« انه لسر كبير سر اضطرب له الحكام فى جميع أنحاء
العالم ، كيف يعرف الناس ؟ وها هم أولاء المحتلون يضطربون
له الآن ، كيف تفلت الأبناء من أعين الرقباء ، كيف تتخطى
حفاظ الأمور من أيدي السلطات ، انه لسر كبير » .

ورفعت الفتاة بصرها فقد أظلمت الغرفة فجأة ، وبدت
الفتاة وكأنها خائفة وقالت « انها سحابة ، يقال ان الجليد
فى طريقه الينا وانه سيسقط مبكرا » وذهب الدكتور وينتر
الى الشباك ورفع رأسه الى السماء قائلا « نعم ، انها سحابة
كبيرة ، لعلها تمر » وأثار العمدة أوردن مصباحا فأرسل
ضوءه فى دائرة صغيرة حوله ، فعاد وأطفأه وهو يقول « ان

الإضاءة في وضوح النهار تشير الشعور بالوحدة « وحينئذ
أفكرت مولى إليه ثانية وقالت « ليس الكس بالرجل السفاهة
انه سرير الغضب ، ولكنه لم يخرج على القانون أبدا ، فهو
رجل يحترم نفسه ، وأراح أوردن يده على كتفها وقال « انى
أعرف الكس منذ كان طفلا صغيرا ، وانى أعرف أباه وجده ،
كان جده صائد دبية في ماضى الأيام ، أتعرفين ذلك ؟ »
وتجاهلت مولى سؤاله وقالت « انك لن تدين الكس » فقال
« لا ، كيف أستطيع أن أدينه ؟ » .

– يقول الناس انك ستحكم عليه من أجل النظام العام .
ووقف العمدة أوردن خلف الكرسي وأمسك مسنده
بيديه وقال « هل يريد الناس النظام يا مولى ؟ » فقالت
« لا أدري ولكنهم يريدون الحرية » .

– حسنا ، أيعرفون كيف يسعون إليها ؟ أيعرفون
سبيل يسلكونه أمام عدو مسلح ؟
فقالت مولى « لا ، لا ، لا أظنهم يعرفون » .

– أتعرفين انك فتاة ذكية يا مولى ؟

– لا ، يا سيدى لا أعرف ذلك ، ولكننى أظن ان الناس
يبدون انهم اذا وادعوا الأعداء اكتملت عليهم الهزيمة ،
انهم يريدون أن يتعلموا هؤلاء الجنود انهم شعب لا يهزم .
فقال الدكتور وينتر « ولكن الفرصة لم تتح لهم ليحاربوا ،

ان الصراع يستجمل ضد المدافع الرشاشة « فقال أوردن
« حين تعرفين ما يريدون أن يفعلوه اتخيريني به يا مولى ؟ »
فنظرت اليه في شك وقالت « نعم » .

تقصدين « لا » أنت لا تتقين بي ؟

فسأله « ولكن ماذا أنت صانع بالكس » فقال أوردن
« لن أدينه ، فهو لم يقترف جرما ضد شعبنا » وترددت مولى
قبل أن تقول « أترأهم .. أترأهم سيقتلون الكس » فحدق
أوردن فيها وقال « أيتها الطمعة العزيزة .. يا طفلي العزيزة »
وانتمصت مولى في وقفها وقالت « شكرا » واقترب أوردن
منها فقالت في تخاذل « لا تلمسني .. أرجوك لا تلمسني ..

أرجوك لا تلمسني » فسقطت يده الى جانبه وظلت مولى
واقفة هنيهة ثم استلمت في جمود وخرجت من الباب .
وما ان أقفلت الباب حتى دخل جوزيف وقال « معذرة
يا سيدي ، فان الكولونيل يريد أن يراك ، وقد قلت له انك
مشغول فقد كنت أعلم انها هنا ، والسيدة زوجتك تريد أن
تراك أيضا » فقال أوردن « سل السيدة أن تأتي » وخرج
جوزيف ودخلت السيدة مباشرة .

— لا أدري كيف أدبر أمر هذا المنزل ، ان الناس هنا

كثير مما يتسع لهم البيت وأني غاضبة دائما .

فقال لها أوردن « كفى » ونظرت اليه السيدة في دهشة

وقالت « لست أدري ما .. » فقاطعتها العمدة قائلاً « كفى ، اسمعى يا سارة ، أريدك أن تذهبي الى بيت الكس موردن عفوا يا صاحب السعادة .. » فقال العمدة « ماذا تريد ؟ اتفهمين ، وأريدك أن تلازمى مولى موردن طالما احتاجت اليك لا تجادلها وانما لازمها » فقالت السيدة « ان لدى مئات الأعمال » .

— سارة ، أريدك أن تلازمى مولى موردن ، اذهبي ولا تتركها ، اذهبي الآن .

وبدأت السيدة تفهم فى بظء ما يرمى اليه وقالت « حسنا، حسنا سأذهب ، متى تنتهى هذه المحاكمة » فقال « لا أدري ، وسأرسل لك آنى فى الوقت المناسب » .

وطبعت السيدة على خده قبله سريعة وخرجت ومشى أوردن الى الباب وتنادى « يا جوزيف ، أستطيع أن أرى الكولونيل الآن ؟ »

ودخل لانسر مرتديا حلة رسمية حديثة الكى وقد علق بحزامها خنجرا صغيرا مزركشا وقال « صباح الخير يا صاحب السعادة ، أريد أن أحادثك حديثا بعيدا عن الرسميات » ثم ألقى نظره الى الدكتور وينتر وقال « وأحب أن أحادثك على انفراد » وقصد وينتر فى مشية بطيئة الى الباب وما أن بلغه حتى قال أوردن « يا دكتور » واستدار وينتر قائلاً « نعم » .

— هل أنت عائد هذا المساء ؟

فسأله الدكتور « أتحتاج الى في عمل ما ؟ »

— لا .. لا .. ولكننى لا أحب أن أكون وحيدا .

فقال الطبيب « سأكون هنا » .

— أتعتقد يا دكتور ان مولى على ما يرام .

— نعم ، أعتقد ذلك ، وان كانت على وشك الجنون

ولكنها عريقة الأصل ، ذات معدن تقى صلب ، فهى من أسرة كندرلى كما تعلم .

فقال أوردن « كدت أنسى ، نعم انها من أسرة كندرلى ..

أليست كذلك » وخرج الدكتور ويتتر وأقلل الباب خلفه فى

رفق وانتظر لانسر نهاية هذا الحديث فى أدب ، وراقب

الباب وهو يقفل ثم نظر الى المنضدة والكراسى التى تحيط

بها وقال « لا داعى الى أن أخبرك عن مقدار أسفى لما يجرى ،

فقد تمنيت ألا يحدث شىء من ذلك » وانحنى العمدة أوردن

بينما تابع لانسر حديثه « انى أحبك يا سيدى وأقدرك ،

ولكنها مهمة ملقاة على عاتقى ولا بد لى أن أؤديها ، وما أخالك

ألا تعرف هذا » ولم يجب أوردن وانما تعمق عينى لانسر .

— اننا لا نعمل من تلقاء أنفسنا أو بوحى من أحكامنا

الخاصة .

وكان لانسر يسكت بين الجمل منتظرا اجابة من أوردن

ولكن دون جدوى .

— ان ثمة تعليمات وضعت لتحكمنا ، تعليمات صنعت
في العاصمة . وقد قتل هذا الرجل ضابطا .
وأخيرا أجاب أوردن « ولماذا لم تقتلوه في الحال ، لقد
كان الوقت مناسباً » وهز لانسر رأسه وقال « لو فعلنا ذلك
لما كان لموته أثر بين الناس ، فأنت تعرف كما أعرف ان
العقاب انما يوقع ليردع مستوى الاجرام فلا يرتكب جرمه ،
ولما كان العقاب قد شرع ليرهب الآخرين فانه لا بد له أن
يكون علنا ، بل لا بد له أن يتخذ مظهرا مسرحيا » وغرس
اصبعه تحت حزامه وتلاعب بخنجره الصغير . واستدار أوردن
ينظر من خلال النافذة الى السماء المعتمة وقال « ان الجليد
سيهبط هذا المساء » فقال لانسر « أنت تعلم يا حضرة العمدة
ان أوامرنا صارمة ، ولا بد أن نحصل على الفهم ، اذا أبى
رجالك أن يخضعوا للنظام اضطررنا الى اخضاعهم بالقوة »
ثم تابع حديثه في صوت حازم « قد نرعى الناس بالرصاص
اذا اضطررنا لذلك ، ان حكومتى ترى أن من الحكمة أن
تقوم السلطات المحلية بتوقيع العقاب ، لأن هذا يؤدي الى
اقرار النظام » فقال أوردن في صوت خافت « اذن فما عرفه
الناس كان حقا ، انه لسر كبير » ثم ارتفع صوته قائلا
« أتريدنى أن أحكم بالاعدام على الكسندر موردن بعد
محاكمة تقوم فى بيتى ؟ » .

— نعم ، وانك بهذا تحقن كثيرا من الدماء أن تراق

بعد ذلك .

وذهب أوردن الى المنضدة وجذب الكرسي الكبير
الموضوع على رأسها وجلس ، فبدأ عليه فجأة مظهر القاضي ،
بينما بدأ على لانسر مظهر المتهم ، وأخذ أوردن ينقر على
المنضدة بأصابعه ثم قال « لا أنت ولا حكومتك تفهمان
الموقف ، فان حكومتك وشعبك ينفردان في العالم أجمع
بسجل من الهزائم تتوالى عليهم منذ عدة قرون ، وما كان
ذلك الا لجهلكم بطبيعة الشعوب » ثم سكت قليلا وقال
« ان مبدأكم هذا عقيم ، أولا ، أنا العمدة ولا أملك أن أصدر
حكم الاعدام ، بل لا أحد في هذه البلدة يملك هذا الحق
فاذا أصدرت هذا الحكم أكون قد خرجت على القانون
كما تخرجون أتم عليه » فقال لانسر « نخرج على القانون ؟ »
— لقد قتلتم من ستة رجال في أول قدومكم ، وطبقا
لقانوننا أتم متهمون بجريمة القتل جميعكم متهم بلا استثناء
فما اهتمامكم بتلك الخرافات القانونية أيها الكولونيل ، انه
لا مكان للقانون بيننا ، انما هي الحرب ، ألا تعلم انك ستضطر
الى قتلنا جميعا أو أننا نحن سنضطر الى قتلكم جميعا
اذا حانت الفرصة ، لقد حطمت القانون بمجيئكم وأحللتم
مكانه قانونا آخر .. ألا تعلم هذا ؟

فقال لانسر « هل لي أن أجلس ؟ » .

— ولماذا تستأذن ؟ هذه مخادعة أخرى ، فانك تستطيع
اذا شئت أن تأمر بي فأظل واقفا .

فقال لانسر « لا ، فانتى - سواء صدقتنى أو لا -
أقدرك وأجل منصبك » ثم أسلم جبهته الى كفه لحظة وقال
« أنت ترى يا سيدى أن رأى - أنا ذلك الرجل الذى بلغ
سنا معينا ويحمل عواطفه الخاصة - رأى هذا لا قيمة له ،
فلعلنى متفق معك فى رأى ولكن هذا لن يكون له أقل أثر ،
ان الخطوط العسكرية والسياسية التى أعمل فى نطاقها ذات
اتجاهات ثابتة ، وتطبيقات محددة » .

فقال أوردن « ان هذه الاتجاهات وتطبيقاتها قد ثبت
خطؤها فى كل حالة امتحنت فيها منذ بدء الخليقة » .

وضحك لانسر بمرارة قائلاً « أنا - ذلك الفرد
ذو العواطف الخاصة - قد أوافقك الرأى ، بل قد أزيد
ان الاتجاهات الناشئة عن العقلية العسكرية عاجزة أن تفهم
أو ترى الا القتل ، فهو وظيفتها الوحيدة . ولكننى هنا لست
ذلك الانسان الذى يخضع للعواطف . فلا بد لعامل المنجم
أن يقتل علنا ، فالنظرية ان الآخرين يجب أن يكبحوا جماح
أنفسهم عن قتل رجالنا . » فقال أوردن « لا حاجة بنا للكلام
اذن » .

— بل لا بد لنا أن نتكلم ، ولا بد لك أن تساعدنا .

فسكت أوردن لحظة ثم قال « سأخبرك ما أنا فاعل ،
كم هم أولاء الذين يحملون المدافع الرشاشة التى قتلت

جنودنا ؟ » فقال لانسر « لا أظنهم يزيدون عن العشرين فيما أعتقد » .

— حسنا جدا ، اذا رميتهم بالرصاص ، سأحكم على موردن بالاعدام .

فقال الكولونيل « أظنك لا تجد » ؟

— بل أجد .

— ان هذا لا يمكن تحقيقه وأنت تعلم .

فقال أوردن « نعم أعلم ، وما تطلبه أنت لا يمكن تحقيقه أيضا » فقال لانسر « أظننى أعرف طريقى ، فان كوريل سيكون عمدة لا محالة » ثم رفع بصره فى سرعة وقال « هل ستشهد المحاكمة ؟ » .

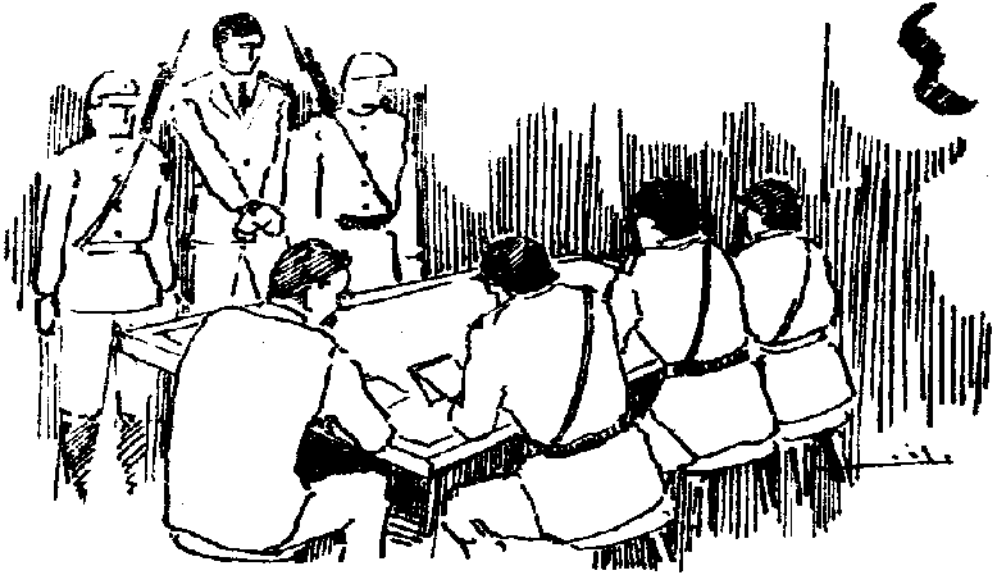
— نعم سأشهدها ، حتى لا يحس الكس بالوحدة .

فنظر لانسر اليه وابتسم فى حزن قائلا « ان مهمتنا ثقيلة ، أليس كذلك » فقال العمدة « انها لثقيلة ، ومستحيلة التحقيق ، انها المهمة الوحيدة فى العالم التى لا يمكن اتقاها » .

— وما هى ؟

— أن نداوم على تحطيم الروح فى الانسان .

ومالت رأس أوردن قليلا تجاه المنضدة وقال دون أن يرفع بصره « لقد بدأ الجليد يتساقط ، انه لم ينتظر المساء ، انى أحب تلك الرائحة الباردة الحلوة التى يشيعها الجليد .



كانت الساعة الحادية عشرة وكان الثلج يتساقط بغزارة في لفحات هينة متلاحقة حتى لم يكن يرى من السماء شيء على الاطلاق ، وكان الناس يخبون تحت الثلج المتساقط ، وكان الجليد متراكما أمام أبواب المنازل وفوق التمثال المقام في الميدان العام وعلى القضبان الحديدية الممتدة من المنجم الى الميناء ، حتى لقد كانت عربات الفحم تنزلق وهم يدفعونها على القضبان .

وكانت تغشى المدينة ظلمة أكثر قتاما من السحابة السوداء والمدينة غارقة في كآبة يبعثها حقد كالح متكاثر ، لم يكن الناس يتلبثون في الشوارع وانما هم يسارعون الى أبواب المنازل يدخلونها ثم تقفل الأبواب من خلفهم ، ثم يخيل للرأي ان ثمة عيوننا تتلصص من وراء الستائر ، فاذا مر جنود الاحتلال ، أو رقيبهم خلال الشارع الرئيسي ، ثبتت العيون

عليه باردة ساخطة . وكان الناس يقصدون الى الحوائت
ليشتروا حاجيات قليلة لغدائهم ، فما كانوا يمكثون الا ريثما
يطلبون الشيء ويدفعون ثمنه ويأخذونه بغير تحية يلقونها
أو ينتظرونها .

وفي غرفة الاستقبال من القصر الصغير ، كانت الأنوار
مضاءة ترتدى على الجليد المتساقط خارج النافذة ، وكانت
جلسة المحاكمة منعقدة ، وكان لافسر جالسا على رأس
المنضدة ، وقد جلس هنتر الى يمينه وبجانبه توندر ثم الكابتن
لوفت وقد وضع أمامه كومة من الورق .

وفي الجانب الآخر جلس العمدة أوردن على يسار
الكولونيل ويليه پراكل وقد أخذ يعبث بقلمه على ورقة أمامه
وبجانب المنضدة وقف حارسان يحملان بنادق على كتفيهما
وخوذات على رأسيهما أشبه ما يكونان بالنصب الخشبية
وبينهما وقف الكس موردن ، شاب ضخم ذو جبهة ضيقة
وعينين غائرتين في محجريهما ، وأنف طويل مدبب ، وذقن
حازم وفم واسع حساس ، عريض الكتفين ملفوف الوسط ،
تتدلى يده المصفدتان أمامه . تتشابكان حيناً وتنفصمان حيناً .
كان يرتدى سروالا أسود ، وقميصا أزرق مفتوح الصدر
ومعظفا أسود عراه البريق من كثرة اللبس .

وأخذ الكابتن لوفت يقرأ من الورق الموضوع أمامه
« وحينما أمر أن يعود الى العمل أبى أن ينفذ الأمر ، وحين
تكرر الأمر ، هاجم السجين الكابتن لوفت بمعول كان
يحملة ، فوضع الكابتن بنتيك جسمه بينهما » .

وسعل العمدة أوردن . وعندما توقف لوفت عن القراءة قال أوردن « أقعد يا الكس فليأته أحدكما بكرسى أيها الحارسان » واستدار الحارس وجذب كرسيًا دون مناقشة وقال لوفت « جرت العادة أن يقف السجين » فقال أوردن « دعه يجلس ، فلن يعرف أحد انه جلس الا نحن ، وتستطيع أن تكتب في تقريرك انه ظل واقفا » فقال لوفت « لم تجر العادة بتزوير التقارير » فأعاد أوردن قوله « أقعد يا الكس » وجلس الشاب الضخم ، وألقى يديه المصفدتين القلقتين بين رجليه وبدأ لوفت يقول « ان هذا مخالف لكل .. » فقال الكولونيل « دعه جالسا » .

وجلا الكابتن لوفت حنجرتة وراح يتابع قراءة التقرير « وضع الكابتن بنتيك جسمه بينهما فهوت على رأسه ضربة حطمت جمجمته » ثم قال « ان التقرير الطبي مرافق للأوراق أتريدنى أن أقرأه » فقال لانسر « لا حاجة اليه ، اختصر الاجراءات ما استطعت » .

— ان كثيرا من جنودنا شهود على هذه الحقائق ، وشهاداتهم مرافقة للأوراق ، ان هذه المحكمة العسكرية ترى ان المتهم مذنب وجريمته القتل ، وتطلب الحكم عليه بالاعدام أتريدنى أن أقرأ شهادة الجنود ؟

وتنهذ لانسر قائلا « لا » ثم استدار الى الكس « انك لا تنكر انك قتلت الكابتن ، أليس كذلك فابتسم الكس فى حزن وقال « لقد ضربته ولا أعلم انى قتلته » وقال أوردن

« أحسنت يا الكس » والتقت عيون المتهم والعمدة في نظرة صداقة . وقال لوفت « أتريد أن تشير الى أن قاتله شخص آخر » فقال الكس « لا أدري ، كل ما أعرفه اننى ضربته ، ثم ضربنى شخص ما » فقال الكولونيل لانسر « هل تريد أن تقدم أى توضيح للمحكمة ، أنا لا أعرف شيئاً يمكن أن يغير الحكم ولكننا سنستمع » فقال لوفت « اننى بكل احترام أقرر انه ما كان للكولونيل أن يقول هذا ، فانه يعنى أن المحكمة غير محايدة » فضحك أوردن فى خشونة ونظر اليه الكولونيل فى ابتسامة باهتة ثم كرر سؤاله « هل تريد أن تقدم أى توضيح للمحكمة ؟ » .

ورفع الكس يده ليشير بها ، فارتفعت يده الأخرى معها فبدأ عليه الارتباك وأعاد يديه الى مكانهما وقال « كنت نائراً ، فأنا رجل متوفز الأعصاب ، لقد أمرنى أن أعمل ، وأنا رجل حر ، فثار نائرى وضربته ، واعتقد اننى ضربته بعنف ، ولم أكن أقصده بضربتى » ثم أشار الى لوفت قائلاً « لقد كان هذا من أريد أن أضربه ، نعم ، هذا الرجل » وقال لانسر « انه لا يهمنا أيهما أردت أن تضرب ، فكلهم عندنا سواء ، هل أنت آسف على ما فعلت » ثم قال لنفسه « فان أسفه ذو قيمة لنا فى التقرير » فقال الكس « آسف ؟ لا أنا غير آسف لقد أمرنى أن أعود الى العمل .. أنا الرجل الحر ، لقد عودت أن أكون ذا مكانة فى قومى ، وقد قال لى انه حتم على أن أعمل » .

— ولكن اذا صدر الحكم باعدامك ، ألا يدعوك هذا الى الأسف ؟

وطأطأ الكس رأسه وحاول أن يخلص الى ضميره ثم قال « لا ، أتعنى هل أعود الى ما فعلته ؟ » .

— هذا ما أعنى .

فقال الكس فى تفكير « لا ، يخيل الى اننى غير آسف » فقال لانسر « أذكر فى التقرير ان المتهم قد غمره الندم . انه لا مجيد عن هذا الحكم » ثم قال لالكس « أتفهم ؟ لا خيار للمحكمة فى الطريق الذى تسلكه ، المحكمة ترى انك مذنب ، والحكم عليك هو أن ترمى بالرصاص فى الحال ، أنا لا أدرى سببا يدعو الى تعذيبك أكثر من هذا ، هل هناك شىء نسيناه يا كابتن لوفت » فقال أوردن « لقد نسيته » ثم وقف ودفع كرسيه الى الخلف وخطا الى الكس ووقف الكس باحترام أرساه فى نفسه التعود الطويل وقال أوردن « اننى العمدة المنتخب يا الكس » .

— أعرف هذا يا سيدى .

— هؤلاء الرجال محتلون يا الكس ، لقد اغتصبوا بلادنا بالمفاجأة والخيانة والعنف .

فقال الكابتن لوفت « يجب ألا يسمح بهذا يا سيدى » فقال لانسر « اسكت ، أيهما تفضل ، أن يقال هذا الكلام فيسمع ، أم أن يدور همسا » فتابع أوردن حديثه وكأن أحدا

لم يقاطعه « لقد اضطرب الناس عند مجيئهم ، واضطربت أنا أيضا ، لم تكن تعرف ماذا تفعل بل لم تكن تعرف كيف تفكر ، ان ما فعلته هو أول موقف ايجابي ، ان غضبتك الخاصة انما هي بداية غضبة الشعب جميعا ، أعلم انهم يقولون في البلدة اننى أتعاون مع هؤلاء القوم ، انى أستطيع أن أظهر البلدة على حقيقة موقفى ، أما أنت ففى طريقك الى الموت ، وأريدك أن تعرف فى أى جانب أنا . »

وأسقط الكس رأسه ثم رفعها وقال « انى أعرف يا سيدى » فقال لانسر « هل الكتيبة معدة ؟ » .

— انها بالخارج يا سيدى .

— ومن قائدها ؟

— الملازم توندر يا سيدى .

ورفع توندر رأسه وقد تصلب فكه ، وأمسك أنفاسه .

وقال أوردن فى رفق « أخائف يا الكس ؟ » فقال الكس

« نعم يا سيدى » .

— لا أستطيع أن أنصحك ألا تخاف ، فقد كنت خليقا

أن أخاف أنا أيضا ، وهكذا كان يخاف آلهة الحرب الصغار هؤلاء .

فقال لانسر « أدع كتيبتك » فقصد توندر الى الباب

فى سرعة وقال « انها هنا يا سيدى » وفتح الباب على مصراعيه

حتى بدت الخوذات من خلاله ، فقال أوردن « امض يا الكس ، واعلم ان هؤلاء الناس لن يقر لهم قرار ، لا قرار لهم على الاطلاق حتى يرتحلوا أو يموتوا ، انك ستجعل من جموع الشعب فردا واحدا ، انها حقيقة محزنة ، ولكنها قد تحمل بعض العزاء اليك ، اذ لا سبيل الى عزاء أكبر ، لن يقر لهم قرار على الاطلاق » وانحنى العمدة أوردن عليه وطبع قبلة على جبينه ثم قال « وداعا يا الكس » .

وقبض الحراس على ذراع الكس ، بينما أقفل الشاب عينيه في حزم ، وتفد به الحراس من الباب واستدار أفراد الكتيبة ، وحملتهم أقدامهم بعيدا عن المنزل الى حيث يسقط الثلج ويطنى على أصوات أقدامهم .

وخيم الصمت على القوم الجالسين حول المائدة ، ونظر أوردن تجاه النافذة فرأى في زجاجها قطعة مستديرة أزالت عنها الجليد يد عاجلة (١) ، فحدق فيها عاجبا ثم تحول نظره الى الخارج في سرعة وقال للكولونيل « أرجو أن تكون مقدرا لخطورة عملك » وجمع الكابتن لوفت أوراقه بينما سأله لانسر « هل ستنفذون الحكم في الميدان العام يا كابتن » فقال لوفت « نعم يا سيدى فى الميدان العام فلا بد أن يكون التنفيذ علنا » وقال أوردن « أرجو أن تكون مقدرا لهذه

(١) المؤلف يقصد بذلك أن بعض الناس كانوا ينظرون خفية من خلال النافذة .

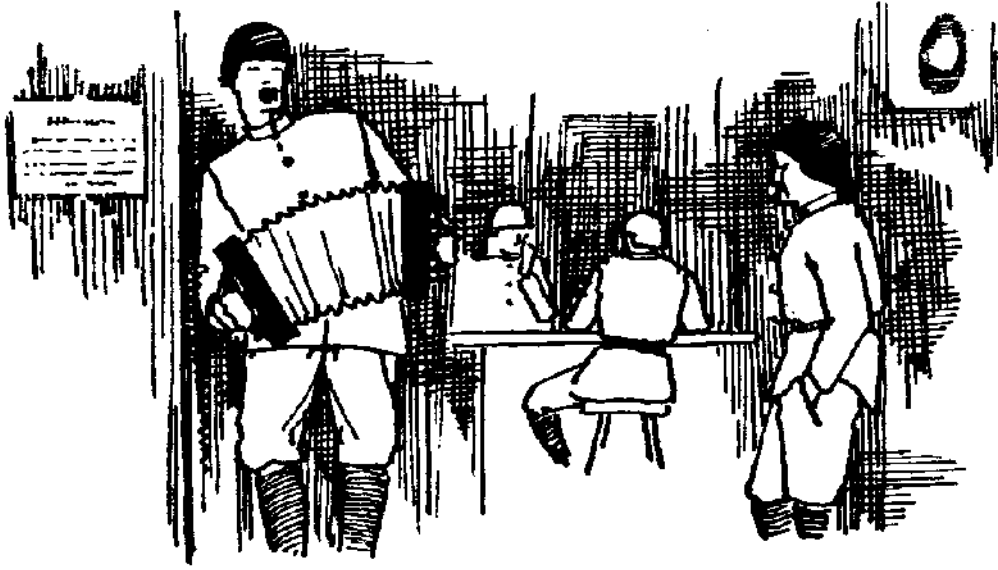
الخطورة « فقال الكولونيل « سواء كنت مقدرًا أو لا فانه عمل لا بد أن يتم » .

وعاد الصمت يخيم على الحجرة ، وأخذ كل منهم يتسمع ولم يطل بهم التسمع ، فقد جاء من بُعد صوت انطلاق البارود وتنهد لانسر من أعماقه . وأسلم أوردن جبهته الى يده وملاً رثتيه بالهواء ، ثم سمعت صيحة بالخارج ، وتهشم زجاج النافذة على أرض الغرفة ، ودار الملازم يراكل حول نفسه ، ووضع يده على كتفه وأخذ يحدق في يده هذه ، وهب لانسر واقفا وصاح « اذن فقد بدءوا ، هل اصابتك خطيرة يا يراكل » فقال يراكل « كتنفى » ، واتخذ لانسر موقف القائد وقال « ستجد آثارا على الجليد يا كابتن لوفت وأريدك الآن أن تبحث عن الأسلحة النارية في كل المنازل واقبض على كل فرد تجد عنده سلاحا ، واللق به في السجن كرهينة » ثم قال للعمدة « أما أنت يا سيدى فسنجعل منك رهينة نحمل بها أنفسنا ، وأرجو أن تفهم ما نقصد اليه ، ان القليل الواحد منا سنقتل في مقابله خمسة ، أو عشرة أو مائة رجل منكم اذا اقتضى الأمر » فقال أوردن في هدوء « هيه أيها الرجل ذو العواطف » .

وتوقف لانسر فلم يكمل أوامره ، ثم رفع بصره في بظء الى العمدة ، ومرت لحظة فهم فيها كل منهما الآخر . ثم اعتدل لانسر في وقفته وقال في حدة « بل رجل بلا عواطف »

ثم قال « أريد أن تأتوا بكل سلاح في البلدة ، وبكل شخص يقاوم ، واسرعوا قبل أن تزول آثار الأقدام » .

ولبس الضباط خوذاتهم ، وهياؤا غداراتهم ، وبدءوا يخرجون وذهب أوردن الى الشباك ذى الزجاج المهشم ثم قال فى حزن « تلك الرائحة الباردة الحلوة التى يشيعها الجليد » .



مرت الأيام والأسابيع متشاقلة واكتملت في بضع شهورا
عقيمة ، وهبط الثلج ثم ذاب ثم هبط ثم ذاب ثم هبط أخيرا
وتماسك ، واكتست أبنية البلدة السوداء بياضا يتخذ شكل
الأجراس والقبعات والأقواس ، وكانت ثمة ممرات تخترق
الجليد الى مداخل البيوت ، وفي الميناء كانت مراكب الفحم
ترسو فارغة وتقلع مليئة ، ولكن الفحم لم يكن يترك الأرض
في يسر ، فقد كان عمال المنجم الأكفاء يرتكبون الأخطاء ،
فالكأبة تغشاهم والبضع يسود أعمالهم ، والآلات تنكسر
ثم يقتضيهام اصلاحها وقتا طويلا .

كان شعب البلدة المحتلة ساكنا في تحفز لانتقام خفي
بطيء ، وكان معظم الخونة الذين عاونوا المحتلين يؤمنون
انهم فعلوا ما فعلوا ليصلوا ببلادهم الى حكم أفضل وعيش
رخي ، وقد اكتشف هؤلاء ان السلطة التي خولت لهم غير
مأمونة الجانب ، فالناس الذين يعرفونهم ينظرون اليهم في
اشمزاز ولا يحادثونهم أبدا .

كان الموت يحوم في الجو مترقبا منتظرا ، وكانت الحوادث تقع على الخط الحديدي الذي يخترق الجبال واصلا بين البلدة الصغيرة وبين بلاد الوطن الأخرى ، فقتل الجليد تنهار على القضبان ، وتظل القطارات واقفة حتى يختبر الطريق . وكان الناس يعدمون ليردع غيرهم ، ولكن لا رادع ، وكانت فئات الشباب تهرب الى انجلترا من حين الى آخر .

وألقى الانجليز القنابل على منجم الفحم فأصابته ببعض أضرار وأصابت بعضا من الأصدقاء والأعداء على السواء ، ثم لم يقد هذا في شيء .

ونمت العداوة الباردة مع الشتاء ، تلك العداوة الصامتة الصارمة ، تلك العداوة المتحفزة .

كان الغذاء خاضعا في توزيعه للسلطات ، فهو مبذول للمطيع ممتنع على العاصي ، وهكذا تحول الشعب جميعه الى طاعة باردة ، ولكن كان هناك سبب يحول دون منع الغذاء ، فالعامل الجائع لا يستطيع أن يخرج الفحم ، فهو لا يطيق أن يحملة ويدفعه .

وكانت الكراهية عميقة في أعين الناس وان حجبتها الظواهر .

وهكذا أصبح المحتل محاصرا ، فقد أحاط الأعداء الصامتون بجيش الاحتلال ، فأصبح كل فرد من هذا الجيش وهو لا يستطيع أن ينفو عن الحراسة ولو للحظة واحدة ، فإن غفا اختفى ، واستقبلت جثته هوة من الجليد ، فان ذهب

وخذته ليزور امرأة اختفى واستقبلت جثته هوة من الجليد ،
فان شرب خمرا اختفى أيضا .

فان غنى رجال القوات العسكرية أو رقصوا، غنوا ورقصوا
وحدهم . وعلى الأيام توقف الرقص وبقي لهم الغناء حيننا
الى الوطن . كان حديثهم عن أقاربهم وأصدقائهم الذين
يجبون ، فقد كان حينهم ينبعث الى المحبة والدفء . فالرجل
لا يطيق أن يكون جنديا الا لعدد محدود من ساعات اليوم ،
وعدد محدود من شهور العام ، ثم هو يريد أن يعود انسانا
من جديد ، فهو يهفو الى النساء والشراب والموسيقى
والضحك والحياة الناعمة ، فحين يمتنع عليه هذا الذى يهفو
اليه يصبح حينه اليه عنيفا لا يقاوم .

فتفكير الجنود يدور دائما حول الوطن فقد أصبخوا
يكرهون هذا المكان الذى احتلوه فهم يقطعون ما بينهم وبين
الناس كما يقطع الناس ما بينهم وبين الجنود ، وعلى الأيام
بدأ شىء من الخوف ينمو فى نفوس الغزاة ، خوف لا سبيل
الى دفعه ، فهم لا يجدون سبيلا الى الطمأنينة أو سبيلا الى
العودة ، انهم يخشون أن ينفرد بهم الشعب فى الجبال
فيصيدهم كالأرانب ، فالمهزومون لا يهدأ لهم ثأر .

كان جنود الحراسة ان سمعوا ضحكا ، أو رأوا ضياء
خفوا اليه كمن ينشد الدفء ، حتى اذا اقتربوا توقف الضحك
وتلاشى الدفء الذى هفو اليه ، وعرا القوم برود واذعان
فاذا شم الجنود رائحة الطعام الساخن المنبعثة من المطاعم

الصغيرة ، دخلوا وأمروا بطعام ساخن ثم هم يجدونه أما كثير
الملح أو شديد الحرافة .

وكان الجنود يقرأون أنباء وطنهم ، وأنباء الاحتلال في
البلاد الأخرى وكانت الأنباء دائما طيبة ، فكانوا يصدقونها
بعض الحين ، ثم ما يلبثون أن ينكروها جميعا ، كان كل رجل
منهم يحمل الفزع في قلبه فهم يعتقدون انه اذا تحطم الوطن
فسينخفي هذا النبا عنهم ، وتفوتهم فرصة النجاة ، فان هذا
الشعب الذي يحتلون بلاده ، لن يتركهم يفلتوا ، وسيقضى
عليهم جميعا ، انهم يذكرون ذلك القصص عن رجالهم الذين
كانوا ينسحبون من بلجيكا ومن روسيا ، والمثقفون منهم
يذكرون تفصيل ذلك الانسحاب المليء بالذعر والألم الذي
تم في موسكو ، يوم لطخت بدمائهم كل شوكة يملكها فلاح ،
ويوم غفن الثلج بأجسامهم .

وهم يعلمون انهم ملاقون نفس المصير . . يعلمون ذلك
وهم يتعقون بأسلحتهم ، ويعلمونه وهم في أوقات
راحتهم ، بل ويعلمونه وهم في اغفاءة نوم طويل . ولقد كان
نومهم قلقا ويومهم اضطرابا ، فهم يوجهون الى ضباطهم
أسئلة لا يجيبونها لأنهم لا يعرفون جوابها ، فلا هم يخبرون
بها ، ولا هم يصدقون ما تجيء به التقارير .

وهكذا أصبح المنتصرون يخشون المهزومين ، فأعصابهم
متوفزة حتى ليطلقوا الرصاص على الظلال حين تبدو لهم
في ظلام الليل . يحيط بهم ذلك الصمت الرهيب الراجف

فلا يفارقهم . وهكذا فقد ثلاثة من الجنود صوابهم خلال أسبوع ، فهم سيكون ليل نهار حتى لقد اضطرت السلطات أن ترسلهم الى بلادهم ، وقد كان الآخرون خليقين أن يصابوا بالجنون هم أيضا لو لم يسمعوا ان الموت الرحيم ينتظر المجانين في الوطن . والتفكير في موت رحيم أمر يثير غاية الرعب .

زحف الخوف على الرجال في معسكراتهم فملأهم بالحزن ، وزحف الخوف على جنود الداوريات في الحراسة فملأهم بالقسوة .

واستدار العام ، وأمسى الليل طويلا ، فالظلام يخيم منذ الثالثة من بعد الظهر ثم لا ضوء حتى التاسعة من الصباح ، فلم تكن الأضواء البهيجة تتلأأ على الجليد في الطرقات ، فالقانون يقضى أن تسود النوافذ حتى لا ترى قاذفات القنابل ضوءا ، ومع ذلك فانه حين جاءت قاذفات القنابل الانجليزية كانت ثمة أضواء تومض بجوار منجم الفحم . وفي بعض الأحيان كانت الدوريات تطلق النار على من يحمل مصباحا يدويا ، وقد أطلقت النار مرة على فتاة تحمل فانوسا ، ولكن هذا لم يفد في شيء ، لم يكن اطلاق النار دواء ناجحا لشيء على الاطلاق .

وكان الضباط مرآة لرجالهم ، فان تدريبهم العسكري كان أكثر اكتمالا فهم أكثر ضبطا لأعصابهم من الجنود ، ولكن نفس المخاوف كانت أكثر تعمقا في نفوسهم ، وكان نفس الحنين الى الوطن أشد احتباسا في قلوبهم ، وهم يحملون

مسئولية مضاعفة ، فالشعب المحتل يتسقط أخطاءهم ، والجنود تحت امرتهم يترقبون لحظات ضعفهم ، وهم بين الاثنين يحملون قلوبا توشك أن تنفجر . كان المحتلون يعانون حصارا تعسفا عنيفا ، وكان الجميع جيشا محتلا وشعبا هزيميا يعلمون المصير المنتظر عند أول تصدع يحدث .

وكان واضحا ان الطمأنينة قد زابت الطابق الأعلى من قصر العمدة ، فالأوراق السوداء لصيقة بأحكام على النوافذ وأكوام صغيرة من المعدات الثمينة متناثرة في الغرفة ، فهي معدات وآلات لا يمكن اهمالها ، فبينها النظارات والخوذات والكمادات .

وكان بعض التهاون في النظام واضح المعالم ، فقد كان الضباط يعلمون انه لا بد لهم من بعض تهاون في شيء ما والا انهار كل شيء .

وكان فانوسان غازيان مستقرين على المنضدة يبعثان ضوءا وهاجا ، وظلالا ضخمة على الجدران وحسيسا (١) ينسرب في جنبات الغرفة .

كان الملاجور هنتر يواصل عمله ، وكانت لوحة رسمه معدة الآن على الدوام ، فقد كانت القنابل تتلف عمله بمجرد انتهائه من تنفيذه ، وما كان هذا ليحزنه كثيرا فقد كانت أعمال البناء بالنسبة للملاجور هنتر هي الحياة كلها ، وقد

(١) الحسيس صوت النار .

كانت عمليات البناء التي تنتظره أكثر مما يطيق أن يرسم أو ينفذ ، فهو يجلس الى لوحة رسمه ومن خلفه الضوء ، تتحرك مسطرتة الهندسية في جوانب اللوحة ، وقلمه بيده لا يهدأ عن العمل .

وكان الملازم پراكل ما يزال معلقا ذراعه على صدره وقد جلس الى كرسى خلف المائدة القائمة في وسط الحجرة يقرأ جريدة مصورة وعلى طرف المنضدة كان الملازم توندر يكتب خطابا ويرفع رأسه عن الخطاب من حين الى آخر ويحلق في السقف عله يجد ثمة كلمات لخطابه .

وقلب پراكل صفحة من المجلة المصورة وقال « أستطيع أن أقفل عيني وأظل أرى كل دكان في هذا الشارع » وتابع هتتر عمله وزاد توندر خطابه بضعة كلمات ، وتابع پراكل حديثه « ان هناك مطعما يقع خلف هذا المنزل تماما ، لا تستطيع أن تراه في الصورة ، اسمه مطعم بيردن » وقال هتتر دون أن يرفع بصره « أعرف هذا المطعم ، فهو يقدم لحما طيبا » فقال پراكل « يا له من لحم ، كل طعامهم كان طيبا ، انهم لا يقدمون شيئا رديئا على الاطلاق ، أما قهوتهم .. » ورفع توندر بصره عن خطابه وقال « انهم لا يقدمون القهوة الآن ولا شرائح اللحم » فقال پراكل « لا أعرف حالهم الآن ، ولكنهم كانوا يقدمون أطيب الطعام ، وسيقدمونه فيما بعد ، وكانت هناك خادمة .. » ثم رسم شكلها في الهواء بيده ..

يده السليمة ثم قال « شقراء » ثم عاد ينظر في المجلة وقال
« كانت لها أعجب عينين ، تشع منها نظرة مخضلة دائما كأنما
قد انتهت قريبا من بكاء أو ضحك » ثم حدق الى السقف
وقال في همس « كنت أخرج معها ، كانت رائعة ، انى أعجب
لماذا لم أكن أكثر من الخروج معها ، أتراها ما زالت هناك »
وقال توندر فى كآبة « ما أظنها لعلها تعمل فى مصنع » وضحك
پراكل وقال « أرجو ألا يكون نظام البطاقات قد طبق على
فتيات الوطن أيضا » فقال توندر « ولم لا » فقال پراكل فى
مداعبة « انك لا تعباً كثيراً بالفتيات ، أليس كذلك ، بل أخالك
لا تعباً بهن على الاطلاق » فقال توندر « اننى أريد منهن
أن يؤدین وظیفتهن التى خلقن من أجلها ، ولا أحب أن
ينتهبن حياتى كلها » فقال پراكل « يخيل الى انهن دائما
ينتهبن حياتك جميعا » فحاول توندر أن يغير موضوع
الحديث فقال « انى أكره هذه الفوانيس اللعينة ، متى تصلح
مولد الكهربا يا ماجور » ورفع الماچور هتتر بصره عن لوحته
بيضاء وقال « كان يجب أن يكون صالحا الآن ، فقد كلفت
عمالا مهرة باصلاحه ، واعتقد اننى سأضعف الحراسة عليه
منذ اليوم » فسأل پراكل « هل قبضت على من أتلفه ؟ » فقال
هتتر فى استياء « أرجح أن يكون واحدا من خمسة ، وقد
قبضت على الخمسة ، انه من أيسر الأمور أن تفسد مولد
كهربا لو عرفت الوسيلة ، ما عليك الا أن ترفع منه جزءا

ولسيتولى هو افساد نفسه ، على كل حال الضوء منتظر في
أى وقت الآن .

وظل يراكل يقلب صفحات مجلته وقال « ترى متى
تتخفف من أعباء هذا العمل ، متى نزور بيوتنا ولو فترة
وجيزة ، ألا تحب أن تذهب الى البيت وترتاح يا ماجور »
ورفع هتتر نظره عن عمله وقد اكتسى وجهه باليأس برهة
وقال « نعم بالطبع » ثم عاد الى طبيعته وقال « لقد بنيت
مخزن هذا الخط الجانبى أربع مرات ، ولا أدرى لماذا تنقذف
القنابل على هذا المخزن بالذات ، لقد سئمت هذا الخط ،
فأنا مضطر الى تغيير اتجاهه فى كل مرة حتى أتفادى أفواه
البراكين التى لا يتسع الوقت لردمها ، وتجمد الأرض غاية
فى الصلابة ، يبدو أن أمامنا عملا مشيرا » .

وفجأة انبعثت الأضواء الكهربائية ، ومد توندر يده فى
حركة لاشعورية وأطفأ الفانوسين ، وانقطع الحسيس من
الغرفة وقال توندر « الحمد لله ، ان أعصابى تضيق بهذا
الحسيس ، انه يجعلنى أظن ان ثمة همسا يدور » وطوى
الخطاب الذى كان يكتبه وقال « انه لأمر عجيب ، ان معظم
الخطابات لا تصل الينا فلن يصلنى فى هذين الأسبوعين
الا خطاب واحد » فقال يراكل « ربما ليس هناك من
يكتب لك » فقال توندر « ربما » ثم تحول الى الماجور وقال
« اذا حدث أى شىء .. فى الوطن .. أعنى .. أتعتقد انهم

سيخبروننا .. أى حادث أقصد .. حادث قتل أو ما يشبه ذلك « فقال هتتر « لا أدري » وتابع توندر حديثه « اذن ، فانتى أريد أن أخرج من هذا الجحر الذى حرم من رحمة الله « فتدخل پراكل فى الحديث قائلا « أظنك سترحل عن هنا بعد الحرب؟ » ثم راح يقلد صوت توندر قائلا « اذا ضمنا أربعا أو خمس مزارع بعضها الى بعض لهيأنا مكانا أنيسا يصلح لأسرة أن تتخذ منه موطنا ، ألم تكن هذه أمينتك ، ألم تكن تتمنى أن تصبح حاكما صغيرا فى الوادى .. شعب طيب سمح ، حقول خضراء وغزلان رشيقة ، ألم تكن هذه هى أمانيك يا توندر . »

وبينما كان پراكل يتكلم سقطت يد توندر ثم قبض على صدغيه بيديه وقال فى انفعال شديد « اسكت ، لا تقل مثل هذا الكلام ، هؤلاء القوم ، هؤلاء القوم المرعبون ، هؤلاء القوم الباردون ، انهم يابون أن ينظروا الينا » ثم ارتعد وهو يقول « انهم يابون أن يتكلموا ، انما هم يجييون وكأنهم موتى ، وهم مطيعون ، أولئك القوم المرعبون والفتيات أيضا باردات فكأنهن الجليد . »

وسمعت طرقة هينة على الباب ثم دخل جوزيف يحمل وعاء مليئا بالفحم واخترق الغرفة صامتا ، ثم وضع الوعاء على الأرض بهدوء كامل حتى لم يصدر عنه أى صوت ثم استدار دون أن ينظر الى أحد فى الغرفة واتجه الى الباب

ثانية فقال پراكل فى صوت مرتفع « چوزيف » فاستدار اليه
چوزيف دون اجابة ودون أن ينظر اليه ثم انحنى انحناءة
يسيرة فقال پراكل فى نفس الصوت المرتفع « هل لديك أى
نوع من أنواع النييد يا چوزيف » فهز چوزيف رأسه تقيا
فبدأ توندر يتكلم وهو جالس الى المنضدة ، وكان وجهه
ثائرا بالغضب فهو يصيح قائلا « أجب أيها الخنزير ، أجب
فى كلمات » ولم يرفع چوزيف بصره بل تكلم بصوت رتيب
قائلا « لا يا سيدى ، لا نييد عندنا » فقال توندر فى ثورة
بالغة « ولا أى نوع ؟ » وخفض چوزيف بصره وتكلم فى
نفس الطريقة الرتيبة .. « ولا أى نوع يا سيدى » ثم وقف
فى جمود تام فقال توندر « ماذا تريد ؟ » .

— أريد أن أذهب يا سيدى .

— اذن فاذهب .. اذهب .. لعنك الله .

واستدار چوزيف وترك الغرفة صامتا ، وأخرج توندر
منديلا من جيبه ومسح به وجهه . ورفع هتتر بصره اليه وقال
« كان يجب ألا تتيح له أن ينتصر عليك فى هذه السهولة »
فجلس توندر على كرسية وأمسك بصدغيه وقال فى انهيار
« أريد امرأة ! .. أريد أن أذهب الى البيت .. أريد امرأة ..
فى هذه المدينة فتاة .. فتاة رائعة .. أراها دائما .. إنها شقراء
الشعر ، مقيمة بجانب مخازن الحديد القديم .. أريد هذه
الفتاة » فقال پراكل « تحكم فى نفسك ، واضبط أعصابك »

وفي هذه اللحظة انطفأ النور ثانية وخيم الظلام على الغرفة ،
وتكلم هنتر بينما أعواد الثقاب تحتك لتضيء الفوانيس ،
فقال هنتر « لقد ظننت انى قبضت عليهم جميعا ، لا بد أن
أحدهم قد استخفى عنى ولكننى لا أطيق أن أظل أبحث
طول الوقت ان لدى من الرجال الأكفاء من يؤدى عنى هذا
العمل » وأضاء توندر الفانوس الأول ثم أتبعه بالثانى، وتكلم
هنتر فى حزم الى توندر « ان كان لا بد لك أن تتكلم فاجعل
كلامك الينا نحن ، لا تدع الأعداء يسمعونك تتكلم على
هذا النحو ، فليس أحب اليهم من أن يعرفوا ان أعصابك
آخذه فى الانهيار ، لا تدع الأعداء يسمعونك » فجلس
توندر ثانية وكان الضوء منصبا على رأسه وقد عاد الحسيس
يملأ الغرفة فقال « تلك هى المشكلة ، الأعداء يسدون علينا
أقطار الحياة ، فكل رجل وكل امرأة ، بل وكل طفل عدو لنا ،
الأعداء يسدون علينا أقطار الحياة ، تطل رؤوسهم من أبواب
النازل ، وتتسمع وجوههم البيضاء من وراء الستائر ، لقد
هزمناهم ، لقد اتصرونا فى جميع الميادين ، وانهم ليصبرون
ويطيعون ، وانهم لصابرون ، ان نصف العالم ملكنا . أليست
هكذا تسير الأمور فى البلاد الأخرى يا ماجور » فقال هنتر
« لا أدرى » فقال توندر « تلك هى المشكلة ، اننا لا ندرى ،
التقارير .. كل شىء فى يدنا ، البلاد المحتلة ترحب بجنودنا ،
وتحمى النظام الجديد » ويتغير صوته آخذا طريقه الى

الخفوت « ماذا تقول التقارير عنا ؟ أهي تقول اننا محل
ترحيب وحب ، نسير على الطرقات المفروشة بالأزهار ، يا لنا
من هؤلاء القوم المرعبين المنتظرين في الجليد » فقال هنتر
« الآن وقد أفرغت ما بصدرك ، أما تحس بتحسين » وكان
پراكل يضرب المنضدة بقبضته وهو يقول « يجب ألا يتكلم
على هذا النحو ، عليه أن يكبت هذه الأشياء في دخيلة نفسه ،
انه جندي ، أليس كذلك ، فليكن جنديا اذن » وفتح الباب
بهدوء ودخل الكابتن لوفت وقد علق الثلج بخوذته وكتفيه
وكانت أنفه محتقنة في احمرار ، وياقة معطفه مرفوعة
الى أذنيه ، وخلع توندر خوذته فتساقط الثلج على الأرض ،
ثم أزال الثلج عن كتفيه وقال « يا لها من مهمة » فسأله هنتر
« هل هناك متاعب أخرى ؟ » .

– المتاعب لا تنتهى ، أرى انهم أفسدوا المولد الكهربائى
ثانية ، حسنا ، أظن اننى أصلحت الأمر فى المنجم مؤقتا
على الأقل .

فسأله هنتر « فما متاعبك ؟ » .

– الأمور العادية التى تحدث لى ، ببطء فى النزول الى
المنجم ، وسيارة معطلة ، وقد رأيت من عطلها ورمىته
بالرصاص ، أظن اننى عرفت علاج الموقف يا ماجور ، لقد
فكرت مليا ، سأفرض على كل رجل كمية معينة من الفحم لابد
له أن يستخرجها ، أنا لا أستطيع ارجاع الرجال والا عجزوا

عن العمل ، ولكننى أعرف الحل حالا ، فانه اذا لم تخرج كمية الفهم المفروضة فلا طعام لأسرة المقصر ، سنجعل الرجال يأكلون فى المنجم حتى لا يشركوا أهليهم فى طعامهم ، ان هذا سيعالج الموقف ، فليعملوا أو يمنع الطعام عن أولادهم ، ولقد أخبرتهم بذلك الآن .

— وماذا قالوا ؟

وضاقت عينا لوفت فى وحشية وقال « قالوا ! ؟ ومتى قالوا ؟ ! لم يقولوا شيئا ، لاشىء على الاطلاق ، ولكننا سنرى ان كان الفهم سيخرج الآن » وخلع معطفه وهزه ، وسقطت عينه على باب الدخول فرآه منفرجا عن فتحة صغيرة ، فتحرك الى الباب صامتا وفتحه فى سرعة ثم أقفله وقال « اعتقد اننى أقفلت هذا الباب باحكام عند دخولى » فقال هنتر « لقد فعلت » وكان يراكل ما يزال يقرب صفحات المجلة المصورة ، وعاد صوته طبيعيا ثانية وهو يقول « انها مدافع هائلة تلك التى نستعملها فى الشرق ، انى لم أر واحدا منها ، أرأيت أنت يا كابتن ؟ !! » فقال الكابتن لوفت « آه نعم » ، لقد رأيتها وهى تطلق ، انها رائعة لاشىء يقوى على الصمود لها » فقال توندر « هل سمعت أخبارا جديدة عن الوطن يا كابتن ؟ » فقال لوفت « سمعت قليلا من الأخبار » .

— هل كل شىء على مايرام هناك ؟

فقال لوفت « كل شىء عظيم ، فالجنود تتقدم فى كل مكان » .

— ألم ينهزم الانجليز بعد ؟

— انهم ينهزمون في كل معركة .

— ويواصلون القتال

— بقليل من الغارات الجوية لا أكثر .

— والروس ؟

— لقد انتهى أمرهم .

فقال توندر في اصرار « ولكنهم يقاتلون » .

— بقليل من المناوشات لا أكثر .

فسأله توندر « اذن فنحن قاب قوس من الانتصار ،

ألسنا كذلك يا كابتن ؟

— نعم اننا كذلك .

فنظر توندر اليه متفحفا وقال « أتصدق هذا الكلام

يا كابتن ؟ أتصدقه فعلا ؟ » فتدخل پراكل قائلا « لا تدعه

يعود الى هذا الحديث ثانية » فزمر لوفت قائلا « لا أعرف

ما تقصد اليه ؟ » فقال توندر « أعنى هذا ! اننا عائدون قريبا

الى الوطن ، أليس كذلك » فقال هنتر « حسنا ان اعادة

التنظيم ستقضى بعض الوقت ، فان النظام الجديد لا يمكن

أن يستقر في يوم واحد ، أيمن هذا ؟ » فقال توندر « لعلها

ستقضى حياتنا جميعا » فقال پراكل « لا تدعه يعود الى هذا

الحديث ثانية » فاقرب لوفت من توندر وقال « أيها الملازم

ان روح أسئلتك لا تعجبني ، فأنا لا أرتاح الى روح الشك «
فرفع هنتر نظره وقال « لا تقس عليه يا لوفت ، انه مجهد ،
كلنا مجهدون » فقال لوفت « وأنا أيضا مجهد ، ولكنني
لا أسمح للشك الخائن أن يتغلب على » فقال هنتر « لا تثر
شيطانه ، أرجوك ، أتعرف أين الكولونيل ؟ » فقال لوفت
« انه يكتب تقريره ، ويطلب الامدادات ، ان المهمة أكبر
مما توقعنا » فسأل پراكل في اضطراب « أَيْجَاب طلبه
للإمدادات ؟ » .

— وكيف لي أن أعرف ؟

فابتسم توندر قائلا « الامدادات ! » ثم قال في صوت
خفيض « لعله يطلب البديل ، فنستطيع أن نذهب الى الوطن
لفترة وجيزة » ثم قال مبتسما « لعلني أستطيع حينئذ أن أسير
في الشوارع ويلقى الناس الى بالتحية ثم يقولون انظروا
ها هنا جندي ، ويفرحون لي ويرحبون بي ، ويسير حولي
الأصدقاء فأستطيع أن أدير ظهرى للناس دون أن أخشى
القتل » فقال پراكل « لا تعد الى ذلك ثانية ، لا تدعوا زمامه
يفلت من جديد » فقال لوفت في تدمر « ان لدينا من المتاعب
ما يغنيننا عن جنون ضباط القيادة » ولكن توندر تابع حديثه
« أتظن حقيقة ان ضباط البديل سيأتون يا كابتن ؟ »

— أنا لم أذكر شيئا عن ضباط البديل .

— لقد قلت انهم قد يأتون .

— لقد قلت لا أدري ، اسمع يا لفتنانت ، لقد هزمتنا
نصف العالم ، ولا بد أن نوطد النظام فيه فترة من الزمن ،
انك تعلم ذلك .

فسأل توندر « فماذا عن النصف الآخر ؟ » فقال لوفت
« سيحاربون في يأس بعض الحين » .

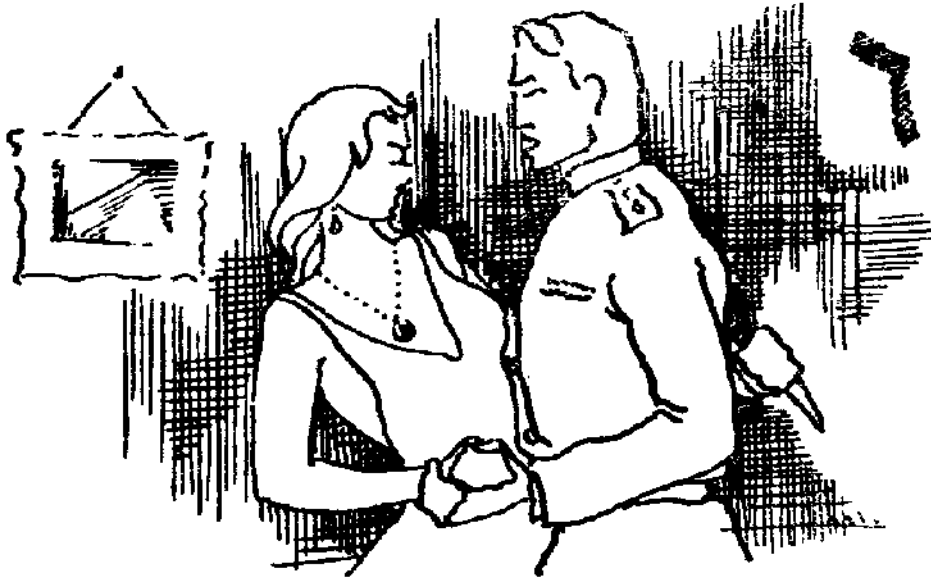
— اذن فلا بد أن نتشر في كل مكان ؟

فقال لوفت « لبعض الحين » فقال پراكل في عصبية
« كم أتمنى أن تسكتوه ، كم أتمنى أن تغلقوا عليه الأبواب ،
اجعلوه يكف عن هذا » فأخرج توندر منديله ونظف أنفه
وضحك في ارتباك ثم تكلم برهة كمن طاش صوابه « لقد
حلمت حلما عجيبا ، أو خيل الى انه حلم أو لعله كان فكرة ،
هو حلم أو فكرة » فقال پراكل « مره يصمت يا كابتن » فقال
توندر « هل احتلنا فعلا هذا المكان » فقال لوفت « لاشك » .
وبدت نعمة مجنونة في ضحكة توندر وهو يقول
« احتلناها ، ثم نحن خائفون ، احتلناها ثم نحن محاصرون »
وعلت ضحكته الخرقاء وهو يقول « كان حلما أو فكرة ..
هناك في الجليد حيث الظلال القاتمة .. والرؤوس في أبواب
المنازل ، والوجوه الكالحة وراء الستائر .. لقد كان حلما
أو فكرة » .

فقال پراكل « مره يصمت » فقال توندر « حلمت ان
زعيمنا قد جن » فضحك لوفت وتوندر معا وقال لوفت

« لقد تبين الأعداء مدى جنونه ، سأكتب هذه المقالة الى الوطن ، وستنشرها الصحف ، فقد عرف الأعداء الى أى مدى بلغ جنون الزعيم » وتابع توندر ضحكه وقال « غزو يتبع غزوا ، ونغوص فى العسل » وغص بضحكة فكح فى منديله ثم قال « الزعيم مجنون فعلا ، الذباب يغزو مصيدة الذباب ، الذباب يحتل مئات الأميال من أرض مصيدة الذباب » وأصبحت ضحكته أكثر جنونا فمال عليه يراكل وهزه هزة عنيفة بيده السليمة « كفى ، كفى ، لا يليق بك هذا » وتبين لوفت بالتدريج ان الضحك كان جنونيا فخطا قريبا من توندر وصفعه على وجهه وقال « كف عن هذا أيها الملازم » .

وتابعت ضحكة توندر انطلاقها فصفعه لوفت على وجهه ثانية وقال « كف أيها الملازم ، أما تسمعنى » وفجأة توقفت ضحكة توندر ، وعاد الهدوء الى الغرفة الا ذلك الحسيس منبعثا من الفوائيس ، فنظر توندر فى ذهول الى يده ، وتحسس وجهه المحتقن بيده ثم نظر الى يده ثانية ، ثم انهارت رأسه على المنضدة وهو يقول « أريد أن أعود الى الوطن » .



على مقربة من الميدان العام كان هناك شارع صغير
تختلط الحوانيت فيه بالمنازل الصغيرة ذات الأسقف الهرمية
وكانت الأقدام قد داست الثلج فسوته على أرض الشارع
والدروب ، ولكنه كان ما يزال مكدسا في أكوام عالية على
الأسوار ومندوفا فوق قمم الأسقف وعالقا على خشب
النوافذ في هذه البيوت الصغيرة . وكان ثمة طرق ممهدة في
الأفنية .

كان الليل معتما باردا ، ولا ضوء ينفذ من النوافذ حتى
لا تنجذب اليه قاذفات القنابل . كان الطريق خاليا من الرواد
فالتجول محظور . كانت المنازل تبدو كتتوعات سوداء تجابه
الجليد ، ومن لحظة الى أخرى كانت الدورية المكونة من
سنة رجال تمر في الطريق لتقوم بالتفتيش ، يحمل كل رجل
فيها مصباحا كهربيا ، كانوا كأشباح ملثمة غارقة في معاطف

سبيكة وقد اتخذوا تحت خوداتهم غطاء رأس من الصوف
يغطي آذانهم وذقونهم وأفواههم .

وتساقطت ذرات من الجليد .. ذرات كجبات الأرز .
وكان رجال الدورية يتحدثون في أثناء سيرهم .. يتحدثون
عن أشياء طالما حنوا اليها .. عن اللحم وعن الحساء الساخن ،
وعن الزبد الدسم ، وعن الفتيات المليحات .. عن الابتسامة
تشرق على شفاهن ، وتترقرق في عيونهن .. كانوا يتحدثون
عن هذه الأمور ، أو هم يتحدثون أحيانا عن كراهيتهم للمهمة
التي يقومون بها ، وتلك الوحدة التي تحيط بهم .

وكان ثمة منزل صغير ذو سقف هرمي يقع بجانب دكان
الحدادة ولا يختلف في شكله عن المنازل الأخرى ، فالقبعة
الثلجية تعلوه ، والضوء لا يخرج عن خشب نوافذه وبابه
محكم الاغلاق . أما في الداخل فقد كان ثمة مصباح يشتعل
بغرفة الجلوس الصغيرة ، وكان الباب مفتوحا الى غرفة النوم
كما كان باب المطبخ مفتوحا أيضا ، وكان موقد من الصلب
يقف بجانب الحائط الخلفي ، تلتهب فيه نار خافتة . كانت
غرفة دافئة تتوافر فيها الراحة وان بان عليها الفقر ، غطيت
أرضها بسجادة بالية ، وعلقت على جدارها الخلفي صورتان
رسمت على احدهما سمكة هامدة ملقاه في طبق على نبات
أخضر ، ورسم على الأخرى طائر من طيور القطا وقد استلقى
ميتا على غصن شجرة . أما الحائط الأيمن فقد كانت عليه
صورة المسيح وهو يسير فوق الأمواج الى صائدي الأسماك

اليائسين . وكان بالغرفة كرسيان من النوع المألوف وأريكة مغطاة بملاءة زاهية اللون ، وفي وسط الغرفة كانت تقوم منضدة مستديرة استقر عليها مصباح بتروول زين دائره بنماذج من الزهور . وكان الضوء في الغرفة ناعما دافئا . وكان بجانب الموقد باب داخلي يؤدي الى الردهة الواصلة الى الباب الخارجى .

وكانت مولى موردين تجلس وحيدة فوق مخدة ملقاة على كرسى هزاز ، وقد راحت تنسل خيوط الصوف من صدىرى ، وتلفها على كرة حتى كونت كرة كبيرة من الصوف وكان النسيج الذى تغزله بإبرتها ملقى على المنضدة بجانبها وبجواره مقص كبير وكانت نظارتها أيضا على المنضدة بجانبها فهى لا تحتاج اليها وهى تنسج . كانت تبدو جميلة ريانة أنيقة ، فشرها الذهبى ملفوف على رأسها وقد أمسكه أن ينساب مشبك أزرق اللون ، ويدها تعمل بمهارة فى نسل الصوف ، ولم يمنعها العمل أن تنظر من حين لآخر الى الردهة من خلال الباب . وكانت الريح تصفر بنعومة فى الموقد ، فقد كانت ليلة هادئة وان لفها الجليد .

وفجأة توقفت عن العمل ، وأمسكت يدها عن الحركة ونظرت تجاه الباب وتسمعت فوصل الى أذنها وقع أقدام الدورية وهى تمر بالشارع ، كما التقطت أذنها همهمة حديثهم . ثم ابتعدت الأصوات ، وراحت مولى تنسل خيوطا أخرى وتلفها على الكرة ولكنها توقفت ثانية ، فقد سمعت

حفيفا بجانب الباب تبعته ثلاث طرقات قصيرة ووضعت مولى ما بيدها وذهبت الى الباب وقالت « من ؟ » .

ورفعت المزلاج عن الباب وفتحته فبدأ فيه شبح مغطى بعباءة ثقيلة ، انها آنى الطاهية ، بعينيها الحمر اوين وقد تلفعت بشال ، وانسلت الى الداخل فى سرعة كما لو كانت قد تعلمت بالمرانة كيف تنسل فى سرعة خلال الأبواب وتقفلها بعد دخولها ووقفت فى الغرفة حمراء الأنف ، مزكومة ، تجول بعينها فى جنبات الغرفة . فقالت مولى « مساء الخير يا آنى ، لم أتوقع مجيئك الليلة ، ارفعى عنك هذه الأشياء واجلسى الى الموقد ، فالجو بارد فى الخارج » فقالت آنى « لقد أتى الجنود بالشتاء قبل مواعده ، طالما قال أبى ان الحرب تجلب الأجواء الرديئة ، أو ان الأجواء الرديئة تجلب الحرب ، لم أعد أذكر ما كان يقول » .

— اخلى هذه الأشياء وتعالى الى الموقد .

فقالت آنى « لا أستطيع فانهم قادمون » فقالت مولى « من القادمون ؟ » فقالت آنى « سعادة العمدة ، والدكتور ، وولدا أندرس » فسألت مولى « أقادمون الى هنا ؟ ولم ؟ » فمدت آنى يدها بلقافة صغيرة وقالت « خذيها ، لقد سرقتها من طابق الكولونيل ، انها لحم » وفضت مولى اللقافة عن شطيرة اللحم الصغيرة ثم وضعتها فى فمها وتكلمت وهى تمضغ « هل أصبت أنت شيئا من هذا ؟ » فقالت آنى « لقد طبختها ! أليس كذلك ، اننى دائما أصيب شيئا » .

— ومتى يقدمون ؟

فقلت آنى « ولدا أندرس مبحران الى انجلترا ، انهما مضطران الى ذلك ، وهما مختبئان الآن » فسألت مولى « مختبئان ؟ ولماذا ؟ » .

— انه أخوهما جاك الذى رمى بالرصاص اليوم لأنه أفسد تلك العربة الصغيرة ، والجنود يبحثون عن بقية عائلته وأنت تعرفين ما يفعلون .

فقلت مولى « نعم ، انى أعرف ما يفعلون ، اجلسى يا آنى » فقلت آنى « لا وقت لدى ، على أن أعود لأخبر سعادة العمدة ان المكان مناسب هنا » فقلت مولى « هل رآك أحد وأنت آتية ؟ » فابتسمت آنى فى زهو وقالت « لا ، فانى ماهرة جدا فى التسلل » .

— كيف سيتمكن العمدة من الخروج ؟

فضحكت آنى وقالت « ان جوزيف سيأخذ مكانه فى السرير اذا فكروا أن يتأكدوا من وجوده ، سيرتدى جوزيف ملابس سيده المسائية ، ويستلقى بجوار زوجته » ثم ضحكت ثانية وقالت « يحسن بجوزيف أن يستلقى فى هدوء كامل » فقلت مولى « انها ليلة مروعة للبحار » .

— ولكنها خير من استقبال الرصاص .

— نعم أنت محقة ، ولكن لماذا يأتى العمدة الى هنا ؟

— لا أدرى ، انه يريد محادثة ولدى أندرس ، لا بد لى

أن أذهب الآن فما جئت الا لأخبرك بقدمهم .

فقلت مولى « ومتى يقدمون » فقلت آنى « بعد نصف ساعة أو أكثر قليلا ، وسوف أجيء أنا أولا ، فان أحدا لا يضايق الطباخت العجائز » وبدأت تتجه الى الباب ، ولكنها التفتت من منتصف الطريق وأرادت أن تستدرك كلماتها الأخيرة وكأنها تتهم مولى بقولها . فقلت « لست عجوزا الى هذا الحد » ثم انفلتت من الباب وأقفلته خلفها .

وعادت مولى الى نسيجها ولكن ما هى الا لحظة حتى قامت الى الموقد ترفع غطاءه فأضاء وجهها بوهج النار ، وقلبت هى النار وزودتها ببعض قطع من الفحم ثم أقفلت الموقد ثانية . وقبل أن تصل الى كرسيها ، انبعث صوت طرق على الباب الخارجى ، فعبرت الغرفة وهى تقول لنفسها « ترى ماذا نسيت آنى ؟ » وذهبت مولى الى الردهة وقالت « ماذا ؟ » وجاءها الجواب فى صوت رجل ففتحت الباب وقال صوت الرجل « أنا لا أقصد ايداءك ، أنا لا أقصد الى أى أذى » وتراجعت مولى الى الغرفة وتابعتها الملازم توندر اليها ، فقلت مولى من أنت ؟ وماذا تريد ؟ أنت لا تستطيع الدخول هنا ، ماذا تريد ؟ » .

وكان الملازم توندر مرتديا معطفه الرمادى الفاخر ، وقد خلع خوذته عندما دخل الغرفة ثم أخذ يتكلم مدافعا عن نفسه « انى لا أريد أى أذى بك ، فدعيني أدخل أرجوك » فقلت مولى « فماذا تريد ؟ » وأقفلت الباب خلفه فقال « اننى

يا سيدتى لا أريد الا الحديث اليك ، هذا كل ما فى الأمر ،
أريد أن أسمعك تتحدثين ، هذا هو كل ما أريد » فسألته
مولى « أو تفرض على نفسك ؟ » .

— لا يا سيدتى ، وانما فقط اسمحى لى أن أظل معك
هنيهة ثم انصرف .

— وماذا تريد من ذلك ؟

فحاول توندر أن يوضح لها قائلا .. « أتستطيعين أن
تدركى هذا ؟ أتستطيعين تصديقه ؟ ألا يمكنك أن تنسى هذه
الحرب لمجرد هنيهة ؟ ألا يمكننا أن نتحدث معا كآدميين ،
هنيهة ، هنيهة كآدميين تجمعنا الحياة ؟ » .

ونظرت مولى اليه طويلا ثم أطلت على شفيتها ابتسامة .

— أنت لا تعرف من أنا ؟ أتراك تعرف ؟

فقال توندر « لقد رأيتك فى البلدة انك لرائعة ، كنت
أعلم اننى سأكلمك » .

وظلت الابتسامة على شفتى مولى وهى تقول فى نعومة
« أنت لا تعرف من أنا ؟ » وجلست فى كرسيها بينما ظل توندر
واقفا كالطفل وقد بدا عليه ارتباك شديد ، وتابعت مولى
حديثها الهادىء « ألأنك تحس الوحدة ؟ أليس الأمر كذلك »
ومر توندر بلسانه على شفتيه وتكلم فى لهفة قائلا « انه
لكذلك ، لقد أدركت ، لقد كنت أعلم انك ستدركين ، لقد

كنت أعلم ذلك » وارتعشت كلماته وهو يقول « لقد بلغت
بى الوحدة حد الاعياء ، اننى وحيد فى هذه العزلة وفى هذه
الكراهية التى تحيط بى » ثم قال فى رجاء « ألا نستطيع أن
نتحدث فترة وجيزة لا أكثر » .

ورفعت مولى نسيجها ونظرت فى سرعة الى الباب الخارجى
« انك لا تستطيع البقاء أكثر من خمس عشرة دقيقة ، اجلس
قليلا يا لفتنانت » .

ونظرت مولى ثانية الى الباب الخارجى ، وسمع صريف
فى البيت ، وكان توندر قد أصبح متوتر الأعصاب فهو يقول
« هل ثمة أحد هنا ؟ » .

— لا ، انه الجليد يثقل على السقف ، ولم يعد لى رجل
ليزيله .

فقال توندر فى رفق « ومن فعلها ، أترأه نحن ؟ » فأومأت
مولى برأسها وقد طوحت بنظرها بعيدا وقالت « نعم » فقعد
توندر وهو يقول « آسف » ثم سكت لحظة وقال « أرجو
أن أكون ذا تفه لك ، سأقوم بإزالة الجليد عن السقف »
فقال مولى « لا .. لا .. » .

— ولم لا ؟

— لأن قومى سيعتقدون اننى على وفاق معكم ،
فينبذوننى ، وانى لا أحب أن أكون منبوذة .

فقال توندر « نعم ، هكذا سيكون الأمر ، كلكم
تكرهوننا ، ولكننى سأرعى أمرك اذا سمحت لى بذلك »
وحينئذ أدركت مولى انها تسيطر على الموقف ، فضاقت
عينها قليلا فى قسوة وقالت « ولماذا تسأل ؟ انك المنتصر ،
ان قومك لا يسألون وانما هم يأخذون ما يريدون » فقال
توندر « ليس هذا ما أصبو اليه ، أنا لا أريد الأمور بيننا
أن تسير على هذا النحو » .

وضحكت مولى فى شىء من القسوة لا تزايلها وقالت
« أنت تريدنى أن أهواك أليس كذلك يا لفتنانت ؟ » .

فقال ببساطة « نعم » ثم رفع اليها رأسه وقال « كم أنت
جميلة ، دافئة ، وكم هو رائع شعرك هذا ، يا لله !! لقد
مضى بى زمن بعيد لم أر فيه هذا الحنان يشرق على وجه
امرأة » .

فسألته مولى « أترى شيئا من الحنان على وجهى ؟ »
فنظر اليها مليا وقال « تمنيت لو أرى » فأسبت جفنها أخيرا
وقالت « انك تغازلنى ، أليس كذلك يا لفتنانت ؟ » فقال
مرتبكا « انى أريدك أن تحبينى ، نعم بالتأكيد ، أريدك أن
تحبينى ، واننى بالتأكيد أريد أن أرى حبك لى فى عينيك ،
لقد رأيتك فى الطريق ، ورقبتك وأنت تمرين بى ،
فأصدرت الأوامر ألا يزعجك أحد ، هل أزعجك أحد ؟ » .

فقال مولى بهدوء « شكرا ، لا ، ان أحدا لم يزعجنى »

فتدافعت كلماته « ولقد نظمت لك شعرا ، أما تحبين
أن تسمعى شعري » فقالت فى هزء « أهى قصيدة طويلة ، فان
عليك أن تمضى سريعا » .

فقال « لا ، انها قصيدة غاية فى القصر ، انها قطعة صغيرة
من الشعر » ووضع يده فى ثوبه وأخرج ورقة مطوية وأسلمها
ليها ، فانحنت الى جانب المصباح ووضعت نظارتها وراحت
تقرأ فى هدوء :

ان عينيك فى عميق سماء السحر بين الهداب والانسان (١)
لهما صوت كالأسير المعنى ثم لم ترضيا بأن تطلقانى
فهما البحر مائجا بالعميق الأزرق الحلو من سرى المعانى
وهما البحر مائجا طانغى الموج على المستطار من وجدانى
ثم طوت الورقة ووضعتها فى ثنايا فستانها ثم قالت
« أكتبت هذا الشعر يا لفتنانت ؟ » .

— نعم .

فقالت فى شىء من التعنيف « وكتبته لى ؟ » .

فقال توندر فى غير ارتياح « نعم » .

فنظرت اليه فى حدة وقالت « انك لم تكتبه يا لفتنانت ،
أليس كذلك » فضحك كطفل انكشف كذبه وقال « لا »
فسألته مولى « أتعرف من كتب هذا الشعر ؟ » فقال توندر

(١) نظم هذه الأبيات شعرا الأستاذ العوضى الوكيل .

« نعم ، انه هاينى الذى كتبها وانها قصيدة (بعينيك الزرقاوين)
لقد طالما أعجبت بها » ثم ضحك فى ارتباك فشاركته مولى
ضحكه ، وفجأة غرقا فى الضحك معا ، وفجأة توقف هو عن
الضحك وغامت عيناه فى نظرة فارغة وقال « ما ضحكت
حياتى كما أضحك الآن ، لقد قالوا لنا ان الشعوب ستحبنا
وتعجب بنا فما رأينا فيهم غير الكراهية والحقد » ثم غير
موضوع حديثه فى لهفة من يغالب الزمن وقال « أنت فى غاية
الجمال ، أنت جميلة كالضحك » .

فقلت مولى « لقد بدأت فى مغازلتى يا لفتنانت، ويجب أن
تمضى الآن ، أمامك دقيقة واحدة » .

فقال توندر « لعلى أريد أن أغازلك ، فان الرجل لا يغنى
عن الحب ، الرجل يموت بغير حب ، فتذوى نفسه ، ويحس
كأن صدره حطام جاف ، لكم أحس بالوحدة » .

وقامت مولى عن كرسيها ، وألقت نظرة مضطربة الى
الباب ، ثم مشت الى الموقد ثم عادت الى مكانها والصرامة
تنمو على وجهها ، والتأنيب يبين فى عينها ثم قالت « أتريد
أن تنالنى يا لفتنانت » .

— أنا لم أقل هذا ، فمالك تتكلمين على هذا النحو ؟

فقلت مولى بقسوة « لعلى أريد أن أحتقرك ، فقد كنت
متزوجة ومات عنى زوجى وهكذا ترى اننى لست عذراء »
وكانت المرارة واضحة فى صوتها .

فقال توندر « ما أردت الا أن أروق لك » .

فقالت مولى « أعرف ، ولكنك رجل متمدين ، وتعلم ان المغازلة لا تكتمل ولا تتم متعتها الا اذا قامت على رغبة متبادلة » .

فقال توندر « كفى عن هذا الحديث ، أرجوك ألا تتكلمى بهذه الطريقة » .

وحدقت مولى بسرعة الى الباب وقالت « اننا شعب مهزوم يا لفتنانت ، وقد منعممنا الغداء ، واني جائعة ، اننى سأحبك ان أنت أطعمتنى » .

فقال توندر « ماذا تقولين ؟ » .

— أأثير اشمئزازك يا لفتنانت ، لعلى أحاول أن أثيره ، ان ثمنى قطعتان من « السجق » .

فقال توندر « لا يليق بك أن تلقى هذا الحديث » .

— فماذا عن فتيات وطنك بعد الحرب الماضية يا لفتنانت ، لقد كان الرجل يستطيع أن يتخير أية واحدة منهن لقاء بيضة أو كسرة من الخبز ، فمالك تريدنى بلا ثمن يا لفتنانت ، أترانى مغالية فى الثمن ؟ » .

فقال « انك تعبثين بى ، انك تكرهيننى ، أليس كذلك كنت أضن أنك لن تكرهيننى » فقالت « لا ، أنا لا أكرهك ، انى جائعة وانى .. انى أكرهك » فقال توندر « سأقدم لك

أى شيء تحتاجين إليه ، ولكن .. « فقاطعتها قائلة « تريد أن تخفى رغبتك وراء اسم آخر ، أنت لا تنشُد امرأة داعرة ، أهذا ما تقصد إليه « فقال توندر « أنا لا أعرف ما أقصد إليه ، لقد جعلت من هدفي شيئا يفتلى بالكراهية « فضحكت مولى وقالت « ليس من العدل أن أكون جائعة ، قطعتان من السجق ، قطعتان من السجق السمين يمكن أن تكونا أثمن شيء في الوجود « فقال « لا ترددى هذه الأشياء ، أرجوك لا تردديها » .

— ولم لا ، انها حقائق .

— انها ليست حقائق ، ان مثل هذا لا يمكن أن يكون حقا .

فنظرت إليه لحظة ثم قعدت وقد خفضت من بصرها « لا ، انها ليست حقائق ، أنا لا أكرهك ، اننى أحس الوحدة أنا أيضا ، وما زال الجليد يثقل على السقف » .

ونفض توندر وسار إليها ، وأخذ إحدى يديها في كلتا يديه وقال في رقة « أرجوك لا تكرهينى ، لست الا ضابطا صغيرا ، ولا يد لى فى المجرى الى هنا ، وأنت أيضا لا يد لك فى أن تكونى عدوتنا ، اننى مجرد رجل ، وما أنا برجل غزو » وأحاطت أصابع مولى بيده هنيهة ثم قالت فى حنان « أعلم ، نعم ، انى أعلم » فقال توندر « ان لنا بعض الحق أن نجيا وسط هذا الموت الذى يغشانا » ووضعت يدها على خده لحظة

وقالت « نعم » فقال « سأرعى أمرك ، ان لنا بعض الحق في الحياة بين هذه المجازر الحاصدة » .

واستقرت يده على كتفها ، ولكنها ما لبثت أن تقلصت عضلاتها فجأة فأتسعت عيناها وحملت في الفضاء وكأنها ترى شبحا ، فرفع يده عنها وسألها « ماذا بك ؟ ماذا حدث ؟ » وظلت عيناها محمقة ، فأعاد سؤاله « ماذا حدث ؟ » .

فتكلمت مولى في صوت مضطرب « لقد ألبسته كطفل صغير بسبيله الى اليوم الأول في مدرسته ، وكان خائفا ، زررت قميصه وحاولت أن أواسيه ، ولكن لم يكن الى مواساته من سبيل ، لقد كان خائفا » .

فقال توندر « ماذا تقولين ؟ » وبدأت مولى وكأنها ترى ما كانت تقصه « أنا لا أدري لماذا تركوه يعود الى المنزل ، كان مضطربا ، لم يكن يدرى ما يدور حوله ، حتى انه لم يقبلنى وهو ينصرف ، كان خائفا .. وشجاعا ، كطفل صغير بسبيله الى اليوم الأول في مدرسته » ووقف توندر قائلا « انه زوجك » فقالت مولى « نعم انه زوجى ، ذهبت الى العمدة ، ولكنه كان عاجزا ، وسار الى حتفه ، لم يكن قويا ولا ثابتا ، وتناولته أنت ، ورميته بالرصاص لقد كانت الدهشة عندى تفوق الفزع ، لم أكن أصدق ما كان يجرى » فقال توندر « زوجك » ؟

— نعم ، والآن في هذا المنزل الفارغ ، أدرك الحقيقة ،

وفي الوحدة قبل أن ينشق الصبح في السرير البارد ، أحسست الحقيقة .

ووقف توندر أمامها وقد غام وجهه بالشقاء وقال « طاب مسأؤك ، ويرعاك الله ، هل لى أن أعود؟ » .

ونظرت مولى الى الحائط والذكريات وقالت « لا أدرى »
— سأعود ؟

— لا أدرى .

فنظر اليها ثم خرج بهدوء من الباب ، وظلت مولى تحديق في الحائط « يرعاني الله ! » وحدقت في الحائط لحظة ، ثم فتح الباب في خفة وتسلت آنى الى الداخل ولم ترها مولى فقالت آنى في احتجاج « لقد كان الباب مفتوحا » .

فنظرت مولى اليها بعينين ما تزالان محدقتين « نعم ، آه نعم يا آنى » .

— كان الباب مفتوحا ، وقد خرج منه رجل ، ورأيت أنه يشبه جنودهم .

فقالت مولى « نعم يا آنى » .

— أكان هنا جندى ؟

— نعم لقد كان جنديا .

ثم سألت آنى في تشكك « ماذا كان يفعل هنا ؟ »

— لقد جاء ليطارحني الغرام .

فقلت آنى « ماذا أنت فاعلة أيتها السيدة ، لعلك
لم تنضى لصفوفهم ، انك لست فى جانبهم مثل ذلك المدعو
كوريل » .

— لا ، أنا لست فى جانبهم يا آنى .

فقلت آنى « اذا عادوا والعمدة هنا ، سيكون هذا
خطأك ، اذا وقع أى حادث ، فأنت وحدك المخطئة » .

— انه لن يعود ، لن أسمح له أن يعود .

ولكن الريبة لم تزايل آنى فهمى تقول « أسألهم أن يأتوا
الآن ، هل أنت واثقة من سلامتهم ؟ » .

— نعم انى واثقة ، أين هم ؟

فقلت آنى « انهم فى الخارج بجانب السور » .

— سليهم أن يدخلوا .

وحين خرجت آنى ، نهضت مولى وراحت تمشط شعرها
وتهز رأسها محاولة أن تعود ثانية الى حيويتها . ثم سمع
صوت خافت فى الردهة . ودخل شابان طويلان أشقران ،
يرتديان معطفين مما يرتديه رجال البحر فوق صديرين من
الجلد واصلين الى رقبتيهما ، وقد اتخذا على رأسيهما
قلنسوتين منسوجتين نسج الجوارب . كان الجلد قد لفح

وجهيهما وكانا يفيضان بالقوة ، ويكادان يدوان كتوأمين ،
انهما ويل أندرس وتوم أندرس الصيادان .

— مساء الخير يا مولى ، هل جاءتك الأنباء ؟

— لقد أخبرتنى آنى ، ولكنها ليلة عاصفة لا تصلح
للاقلاع .

فقال توم « انها خير من ليلة صافية ، فانه سهل على
الطيارات أن تراك في ليلة صافية ، ماذا يريد العمدة
يا مولى ؟ » .

— لا أدرى ، لقد سمعت بما حدث لأخيكما ، وانى
لحزينة لما سمعت .

وصمت الاخوان وألقيا نظرة مرتبكة ، وقال توم
« لا يعرف أحد وقع هذه الأحداث كما تعرفينه أنت » .

— نعم ، نعم ، انى أعرفه .

ودلفت آنى من الباب ثانية وقالت فى همس أجش « انهم
هنا » ودخل العمدة أوردن والدكتور وينتر ، وخلعا معظيهما
وقبعتيهما. وألقيا بها جميعا على الأريكة ، وقصد أوردن الى
مولى فقبلها على جبينها وقال « مساء الخير يا عزيزتى » ثم
استدار الى آنى « قفى فى الردهة يا آنى ، واندرينا بطريقة
حين تجيء الدورية ، وبمثلها حين تمضى ، وبطرقتين ان رأيت
خطرا يدهم ، وتستطيعين أن تتركى الباب الخارجى منفرجا

حتى تتبينى القادمين « فقالت آنى « أمرك يا سيدى »
وذهبت الى المر وأقفلت باب الغرفة وراءها .

وكان الدكتور ويتتر بجانب الموقد يدفىء يديه فقال
« سمعنا انكما مرتحلان الليلة يا ولدى » فقال توم « لابد
لنا أن نرتحل » فأوماً أوردن قائلاً « نعم ، أعرف ، فقد سمعنا
انكما مرتحلان وانكما ستصحبان كوريل معكما » .

فضحك توم بمرارة وقال « نظن ان هذا هو الجزاء
العدل . اننا سنأخذ قاربه ، ولكننا لا نطيع أن نتركه يرمى
فانه لا يطيب لنا أن نراه فى الشوارع » .

فقال أوردن فى حزن « تمنيت لو كان قد ارتحل قبل
اليوم ، فان الخطر يتهددكما ان . أنتما أخذتماه » .

— انه لا يطيب لنا أن نراه فى الشوارع .

وردد ويل قول أخيه « ان الناس لا يطيب لهم أن يروه
هنا » فسأل ويتتر « أيتاح لكما أن تأخذاه ، أما ترونه حذرا
يحتاط لكل شىء ؟ ! » .

— آه ، نعم ، انه حذر الى حد ما ، فانه فى الساعة
الثانية عشرة ، بينما يكون سائرا فى طريقه الى منزله كعادته ،
سنكون نحن خلف الجدار ، واعتقد اننا سنستطيع أن نعبر
به حديقته السفلى الى الماء ، حيث يرسو قاربه ، لقد كنا
فيه اليوم نعدده للرحلة .

فأعاد أوردن قوله « تمنيت لو عدلتما عن هذا ، فالخطر

حولكما سيتضاعف ، فانه اذا ند عنه صوت ستهمكما
الدورية » .

فقال توم « ان صوتا لن يند عنه ، فانه يحسن به أن
يختفى في البحر ، فان بعضا من رجال البلدة قد يقتلونه
فيكثر فينا التقتيل ، لا ، انه يحسن به أن يختفى في النهر » .
وعادت مولى الى نسيجها وهي تقول « هل ستلقياه
من القارب ؟ » وصعدت الدماء الى وجه ويل وهو يقول
« سيمضى الى البحر يا سيدتى » ثم استدار الى العمدة
قائلا « لقد أردت أن ترانا يا سيدى » .

— آه ، نعم ، لقد أردت أن أحدثكما ، لقد كنت
والدكتور وينتر نحاول أن تفكر ، هناك أمور كثيرة يجب
بحثها حول العدل ، والظلم ، والغزو ، فقد غزى شعبنا
ولكننى لا أرى انه هزم .

وسمعت طرقة حادة على الباب ، فخيم الصمت على
الغرفة ، وتوقفت ابر مولى عن العمل وظلت يد العمدة
المدودة معلقة في الهواء ، وكان توم يهرش أذنه فتوقف
عن الهرش وأبقى يده في مكانها . وظل كل فرد بالغرفة
ثابتا لا يأتى بحركة ، واتجهت كل عين فيهم الى الباب .
وجاءهم صوت بدأ ضعيفا ثم أخذ يقوى ، انه الدورية
في مرورها ووقع أقدام الجنود على الجليد تختلط بحديثهم
وهم سائرون . وعبروا الباب وشيئا فشيئا اختفت أصواتهم

ثم سمعت طريقة أخرى . فهدأ التوتري في الغرفة وقال أوردن « لا بد ان آنى مسها البرد في الخارج » وأخذ معطفه عن الأريكة وفتح الباب الداخلى ومد يده في فرجته بالمعطف . وقال « ضعى هذا على كتفيك يا آنى » ثم أقفل الباب وقال « لا أدري ماذا كنت أصنع بغيرها ، انها تتسلل الى كل مكان فتسمع وتري كل شىء » فقال توم « يجب أن نصارع بالذهاب يا سيدى » وقال وينتر « أرجو أن تسقطا كوريل من خطتكما » .

– لا نستطيع فانه لا يطيب لنا أن نراه في الشوارع .
ثم نظر في تساؤل الى العمدة أوردن ، وبدأ أوردن يتحدث في بطاء « أريد أن أتحدث في بساطة ، ما هذه الا بلدة صغيرة ، يتمثل العدل والظلم بها في صغير الأمور ، لقد قتل أخوك كما قتل الكس موردن ، واثقمانا ينصب على الخائن ، الشعب ثائر ولا وسيلة بيده ليرد العدوان ، ولكن هذه كلها أمور صغيرة ، انه شعب يصارع شعبا ، وليست فكرة تصارع فكرة » .

فقال وينتر « انه لعجيب أن يفكر طيب في التخريب ، ولكننى أظن ان كل شعب يدهمه الاحتلال يسعى الى المقاومة ، ونحن بلا سلاح ، فما تكفى أرواحنا وأجسامنا ، فان روح الرجل الأعزل مخذولة » فسأل ويل أندرس « فيم كل هذا الحديث يا سيدى ماذا تريد منا ؟ » فقال

أوردن « نريد أن نقاتلهم فلا نستطيع قتالا ، انهم يسلطون الجوع على الشعب ، والجوع طريق الى الضعف ، وأتت يا ولدى في طريقكما الى انجلترا وقد لا تجدان من يستمع اليكما ، ولكن أبلغاهم عنا ، نحن رجال البلدة الصغيرة ، أننا في حاجة الى السلاح » فسأل توم « أتريد مدافع ؟ » .

ومرة أخرى سمعت طرقة سريعة على الباب ، فتجمد القوم في أماكنهم ، وجاء من الخارج صوت الدورية ، ولكنها كانت تجرى في خطوة سريعة ، واتجه ويل بسرعة الى الباب وأصبحت الخطوة السريعة أمام البيت ، وسمعت أوامر مبهمه ثم سارت الدورية في طريقها ، وسمعت طرقة ثانية على الباب .

وقالت مولى « لا بد انهم يجدثون في أثر بعض الناس ، ترى من يكون ؟ » فقال توم في قلق « يجب أن نسارع بالذهاب ، أتريد مدافع يا سيدى ؟ ! نسألهم أن يرسلوا مدافع ؟ » .

— لا ، وانما صف لهم الحال هنا ، قل لهم اننا مراقبون ، فأى حركة نأتيها تقودنا الى التنكيل ، فلو ان لدينا بعض لأسلحة السرية البسيطة التي يمكننا أن نستعملها خفية ، مفرقات ، أو ديناميت لنسف القضبان أو قنابل يدوية أو سموم ان أمكن .

ثم اندفع في غضب قائلا « انها ليست حربا شريفة ،

انها حرب خيانة واغتيال ، فلنستعن بالوسائل التي استعانوا بها علينا ، سئل قاذفات القنابل البريطانية أن تلقى قنابلها الثقيلة على المناطق الصناعية ، ولكن سلمهم أيضا أن يلقوا الينا بعضا من القنابل الصغيرة ، لنخفيها ثم نستعملها ، وندسها تحت القضبان ، والمخازن وحينئذ لن يعلم المحتل أننا يحمل سلاحا . ونصبح مسلحين .. مسلحين في الخفاء ، وحينئذ لن يعلم المحتل اننا نحمل سلاحا ، سئل قاذفي القنابل أن يحملوا الينا أسلحة خفيفة لنعرف كيف نستعملها » .

وشارك وينتر في الحديث قائلا « لن يعرفوا أبدا أين سنوجه ضربتنا ، ولن يعرف الجنود أو رجال الدورية من منا يحمل سلاحا » .

ومر توم بيده على جبهته قائلا « سنخبرهم بذلك ، ان أفلتنا يا سيدى ولكن .. سمعتهم يقولون ان بعض القائمين بالأمر في انجلترا لا يجرأون أن يزودوا عامة الناس بالسلاح » .

فحدق فيه أوردن قائلا « آه ، لم يخطر لى ذلك ببال ، حسنا يمكننا أن نحاول ، ان كان أمثال هؤلاء ما يزالون يحكمون انجلترا وأمريكا ، فالعالم قد ضاع لا محالة ، أنبتهم بما نقول اذا منحوك أذنا صاغية ، لا بد لنا من عون ، فان حصلنا عليه .. » وتقلص وجهه وقال « ان حصلنا عليه فسنعين أنفسنا » .

فقال وينتر « لو انهم لم يعطونا الا الديناميت ،

لأخفيناه في الأرض ، وجعلناه عدتنا عند الحاجة ، وهكذا
لن يستقر للمحتل قرار ، سنسفن مؤنته » .

وسرت في الغرفة روح الحماسة فقالت مولى في وحشية
« نعم ، سنشير قرارهم ونقض مضجعهم وسنحطم أعصابهم
ونزعزع ثقتهم » .

وسأل ويل في هدوء « أهذا كل ما تريده يا سيدى ؟ »
فأوماً أوردن « نعم ، هذا خلاصة ما نريد » .

— وماذا اذا لم يصغوا ؟

— ما عليكما الا السعى ، كما ستسعيان في البحر الليلة .

— هل هناك شيء آخر يا سيدى ؟

وفتح الباب ودخلت آنى بهدوء ، وقال أوردن
« لا شيء ، ان كنتما ستمضيان الآن فلنرسل آنى لترى
ان كان الطريق خاليا » ثم رفع بصره فوجد ان آنى قد
دخلت فقالت آنى « ان جنديا يعبر الممر الخارجى ، انه
يبدو كذلك الجندى الذى كان هنا من قبل ، فقد كان هنا
جندى مع مولى قبل مجيئنا » ونظر الآخرون الى مولى
وقالت آنى « لقد أغلقت الباب بالمزلاج » فتساءلت مولى
« ماذا يريد ؟ لماذا عاد ؟ » وسمعت طرقة رقيقة على الباب
الخارجى ، وخطأ أوردن الى مولى « ما هذا يا مولى ؟
أتواجهين مأزقا » فقالت « لا .. لا » اذهبوا أنتم من الباب

الخلفى ، يمكنكم أن تخرجوا من الخلف ، اسرعوا ،
اسرعوا بالخروج . »

وتتابعت الطرقات على الباب الخارجى ، وجاء صوت
رجل مناديا فى رقة وفتحت مولى باب المطبخ وقالت
« اسرعوا .. اسرعوا » وواجهها العمدة وقال « أتواجهين
مأزقا يا مولى ؟ انك لم ترتكبي شيئا ؟ » فقالت آنى فى
برود « يبدو كأنه نفس الجندى ، لقد كان هنا جندى من
قبل » فقالت مولى للعمدة « نعم ، لقد كان هنا جندى من
قبل » فقال العمدة « ماذا أراد بك ؟ »

— أراد أن يطارحنى الغرام .

فقال أوردن « ولكنه لم يفعل ؟ » فقالت « لا ، لم يفعل
اذهبوا الآن ، وسأواجه أنا الأمر » فقال أوردن « ان كنت
فى مأزق يا مولى فدعينا نعاونك » فقالت « ان المأزق الذى
أواجهه لا يستطيع أحد أن يعاوننى فيه . اذهبوا الآن »
ثم دفعتهم خارج الباب . وتخلفت آنى ونظرت الى مولى
وقالت « ماذا يريد هذا الجندى أيتها السيدة ؟ »

— لا أعرف ما يريد .

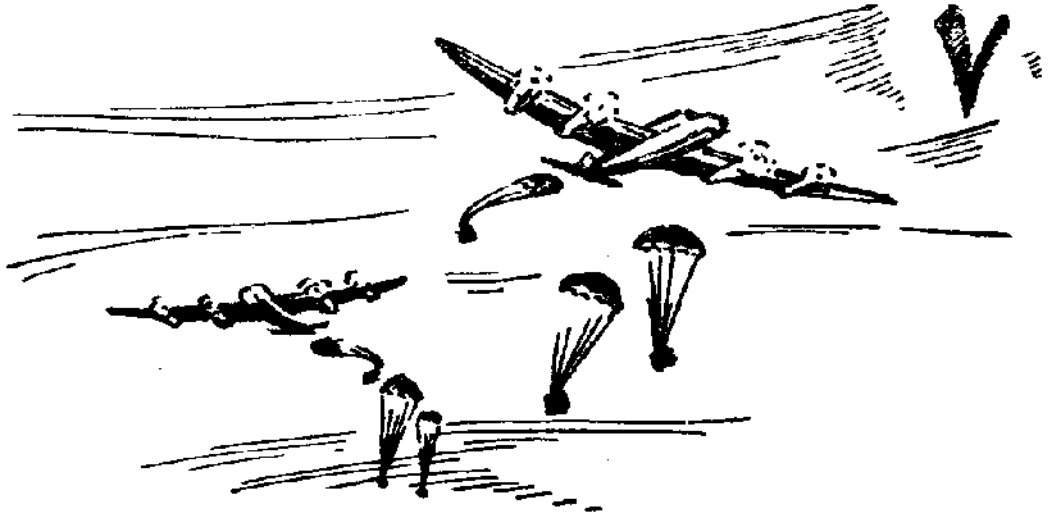
— هل ستطليه على شيء مما دار هنا ؟

« لا » ثم أعادت مولى قولها فى دهشة « لا » ثم قالت
فى حدة « لا يا آنى ، لن أطلعه على شيء » فقالت لها آنى

غاضبة « يحسن بك ألا تطليعه على شيء أيتها السيدة »
ثم خرجت وأقفلت الباب وراءها . وتتابع الطرق على الباب
الخارجي وأصبح صوت الرجل مسموعا من وراء الباب .

وذهبت مولى الى المصباح الذي يتوسط الحجرة وهي
تنوء بحملها الثقيل ، فخفضت بصرها الى المصباح ، ثم
نظرت الى المنضدة فرأت مقصها الكبير ملقى بجانب نسيجها
فأمسكت بأسلحته ، وراحت الأسلحة تنزلق من أصابعها
حتى أصبح مقبض المقص في يدها فأمسكت به كما تمسك
بسكين ، وبان الفزع في عينها ، وعادت تنظر الى المصباح
فغمر الضوء وجهها ، وبيطء رفعت المقص ودسته داخل
ثوبها .

وتتابع الطرق على الباب وسمعت الصوت يناديها ،
ومالت هنيهة على المصباح ثم أطفأت النور فجأة ، وأظلمت
الغرفة الا بصيصا من نور أحمر ينعكس من موقد الفحم .
وفتحت الباب ، وكان صوتها منغوما مجهدا وهي تقول
« انى آتية يا لفتنانت ، انى آتية » .



في ليلة ظلماء صاخبة ، ألقى قمر أبيض شاحب ضوءاً خافتاً ، وكانت الرياح الجافة ترسل أنعامها فوق الجليد ، ريح رخية تمر رتيبة مستوية من القطب الشمالي الى البارد . وكان الثلج على الأرض سميكا جافا كأنه الرمال ، وكانت البيوت غارقة في فجوات من جليد ، وكانت النوافذ معتمة مغلقة تصد البرد ، فما ترى الا قليلا من الدخان تصعده النيران المشتعلة داخل البيوت .

وفي البلدة كانت الممرات متجمدة ، وقد تكس بها الجليد ، وكانت الشوارع صامتة أيضا ، الا حين تمر الدورية اليائسة ، كانت المنازل تلقى الليل بظلامها ، وكان الحراس يرقبون السماء عند مدخل المنجم ، ويصوبون آلاتهم الى هذه السماء ، ويوجهون أجهزة استماعهم الى نفس هذه السماء ، فقد كانت ليلة صافية لالقاء القنابل . وفي ليلة كهذه تتساقط القنابل الصلبة المجنحة في صفيح ثم ما تلبث أن

تنفجر الى شظايا . فان الأرض تكون مكشوفة للسماء في هذه الأمسيات مهما يكن ضوء القمر خافتا .

وفي أحد أطراف البلدة ، بين البيوت الصغيرة ، كان ثمة كلب يشكو البرد والوحدة ويرفع رأسه الى خالقه ويصف العالم وصفا طويلا أليما كما تراه عيناه ، كان كمن مدرب ذى صوت جهورى منوع الطبقات. وكان رجال الدورية الستة يروحون ويغدون خلال الشوارع ويسمعون غناء ذلك الكلب وقال أحد الجنود المثلثين « يبدو ان حالته تزداد سوءا ليلة بعد أخرى ، أعتقد انه يجب أن نرميه بالرصاص » فأجاب آخر « ولماذا ؟ دعه يعوى ، ان صوته يروق لى ، كان عندي فى الوطن كلب يعوى دائما ، ولم أستطع أن أمنعه أبدا ، كان كلبا أصفر اللون ، أنا لا أضيّق بالعواء لقد أخذوا كلبى حين أخذوا الكلاب الأخرى » فقال الجاويش « لم يكن يمكنهم أن يتركوا الكلاب فتأكل غذاء نحن فى حاجة اليه » .
— آه ، اننى لا أشكو ، فأنا أعلم ان ما فعلوه كان ضروريا ، أنا لا أستطيع أن أرسم الطريق للقادة .. انه من الغريب ان بعض الناس هنا يحتفظون بكلابهم وليس لديهم من الغذاء قدر ما لدينا . ان الشحوب يعرفهم وهم كلابا وادمين .

فقال الجاويش « انهم أغبياء ، ولهذا هزموا بهذه السرعة انهم لا يستطيعون أن يدبروا الأمور كما ندبرها »

فقال الجندى « ترى هل سنحصل على الكلاب ثانية بعد الحرب ، أظننا سنستطيع الاتيان بها من أمريكا أو من

مكان ما ثم نبدأ في تربيتها ثلثية ، ترى أى نوع من الكلاب يعيش في أمريكا » فقال الجاويش « لا أدري ، لعل الكلاب هناك مجنونة ككل شيء عندهم » ثم تابع حديثه « ولعل الكلاب عديمة النفع على أى حال ، لعله يحسن بنا ألا ننشغل بها الا في أعمال البوليس » فقال الجندي « لعل الأمر كذلك فقد سمعت أن الزعيم لا يحب الكلاب ، سمعت انها تجعله يهرش ويعطس » فقال الجاويش « انك تسمع خليطا كثيرا من الأشياء ، انصتوا » وتوقفت الدورية ، فسمعوا أزيز الطائرات آتيا من بعد شاسع . فقال الشاويش « ها قد جاءوا ، حسنا فلا ضوء هنا بين ، لقد مر أسبوعان على آخر مرة جاءوا فيها » فقال الجندي « اثني عشر يوما » .

وكان الحراس الواقفون بالمنجم قد سمعوا أزيز الطائرات المرتفع فقال جاويش منهم « انها تحلق علينا » ومال كابتن لوفت برأسه الى الخلف حتى يستطيع أن يرى السماء من تحت حافة قبعته وقال « أعتقد ان ارتفاعها يزيد على عشرين ألف قدم ، لعلها في طريقها الى مكان آخر » وتسمع الجاويش وقال « ليست كثيرة العدد ، أعتقد انها أقل من ثلاثة طائرات ، هل استدعى البطارية ؟ »

— بل تحقق ان كانت على أهبتها ، ثم ادع الكولونيل لانسر .. لا .. لا تدعه . ، فلعلهم لا يقصدوننا لقد كادوا يرحون حدود البلدة ، ولم ينقضوا بعد » .

وقال الجاويش « يخيل الى انهم يدورون في الجو ، ولا أعتقد ان السرب يزيد عن طائرتين » .

وكان الناس في مضاجعهم . يسمعون صوت الطائرات
فغاصوا في أعماق فراشهم المحشو بالريش وراحوا يتسمعون .
وفي قصر العمدة أيقظ الصوت البعيد الكولونيل لانسر
فاستدار على ظهره ونظر الى السقف المعتم بعينين يقظتين ،
وأمسك أنفاسه ليتسمع في جلاء ، فأخذ صدره يخفق حتى
لم يعد يسمع في نفس الوضوح الذي كان يسمع به حين
كان يتنفس .

وسمع العمدة أوردن الطائرات في منامه فأخذ يتحرك
ويهمس وهو نائم .

وراحت قاذفتا القنابل تحلقان عاليا في السماء ، لقد
كانتا طائرتين في لون الغبار ، وقد أخذتا تكتمان الأزيز منهما
وتمرقان الى أعلى وتدوران .

وأخذت أشياء صغيرة تتساقط من صدر كل منهما ،
مئات من الأشياء الصغيرة تتساقط واحدة بعد الأخرى ،
ثم انخفضتا بضعة أقدام ، وافتحت منهما بعض مظلات
هابطة راحت تنهاوى في ببطء الى الأرض حاملة صناديق
صغيرة ، ورفعت الطائرتان الأزيز وعادتا الى الارتفاع في
الهواء ، ثم كتمتا أزيزهما ودارتا ثانية وراحتا ترميان بالأشياء
الصغيرة مرة أخرى ، ثم استدارت الطائرتان وعادتا سبيلهما
الى الطريق الذي جاءتا منه .

وراحت المظلات الهابطة الصغيرة تطفو في الهواء كنبات

مائي ، وقد زاد الهواء انتشارها واضطرابها فهي كالبدور
اضطربت في أوعيتها . وهبطت في بطن هاديء ، واستقرت
على الأرض في رقة بالغة ، حتى لقد كانت بعض صناديق
الديناميت الصغيرة تبلغ الأرض معتدلة في وضعها ، وكانت المظلات
الصغيرة تنكمش في وداعة حولها . كانت الصناديق واضحة
القتامة في أماكنها على الثلج ، فقد هبطت في الحقول البيضاء
بين غابات الجبال ، ومنها ما نزل على الأشجار فتعلق بأعرافها
ومنها ما نزل فوق أسقف المنازل وهبط بعضها في الأفنية
الصغيرة أمام البيوت ، أما واحد منها فقد اختار أن يهبط معتدلا
على التاج الثلجي الذي يكلل هامة التمثال المقام للقديس
البرت المبشر . وسقطت إحدى المظلات في الشارع تماما
فوق الدورية فقال الجاويش « حذار فانها قبله زمنية » فقال
أحد الجنود « انها ليست كبيرة الى هذا الحد » .

— على أية حال لا تقترب منها .

وأخرج الجاويش مصباحه الكهربائي وسلطه على ذلك
الشيء ، فرأى ثمة مظلة لا تزيد في حجمها عن منديل ، زرقاء
مشرقة الزرقة ، معلق بها صندوق ملفوف في ورقة زرقاء
فقال الجاويش « حذار أن يلمسها أحد ، واسرع أنت فاذهب
الى المنجم واستدع الكابتن ، وسنظل نحن هنا نرقب هذا
الشيء اللعين » .

أشرق الفجر . وخرج الناس من بيوتهم الى البلدة فرأوا

تلك البقع المعتمة في الجليد ، فقصدوا اليها والتقطوها وفضوا عنها أغلفتها وقرأوا الكلمات المطبوعة بالداخل فعرفوا أية هدية هبطت عليهم . فانقلب كل واحد منهم الى مهرّب ، فهو يخفى الأنبوبة الطويلة التي عشر عليها تحت معطفه ويمضى الى مكان خفى يخبىء فيه أنبوبته .

وبلغت كلمة عن هذه الهدايا مسامع الأطفال فراحوا يقلبون تلال البلدة بحثا عن بيضة كبيرة كبيض عيد الفصح ، فاذا رأى طفل محظوظ اللون الأزرق اندفع الى الهدية وأزال عنها غلافها وخبأ الأنبوبة وأخبر أبويه عنها . وقد انتاب الخوف بعض الناس ، فسلموا الأنابيب الى السلطات العسكرية ولكنهم كانوا قلة . وراح الجنود يقلبون البلدة مرة أخرى عن بيض عيد الفصح ولكنهم لم يجيدوا صيد هذا البيض اجادة الأطفال .

وفي غرفة الجلوس من قصر العمدة كانت مائدة الطعام ما تزال محاطة بالكراسي كما وضعت يوم أعدم الكس موردين وفقدت الغرفة بهاءها الذي كانت تتسم به حين كان القصر ما يزال يسمى قصر العمدة . فالفراغ العميق مخيم على الجدران العارية من كراسيها ، والمنضدة وقد بعثت عليها بضع أوراق تجعل الغرفة تبدو وكأنها مكتب أعمال .

ودقت الساعة القابعة على المدفأة ، التاسعة ، وكان اليوم معتما مغطى بالسحاب فقد اجتلب الفجر السحب المثقلة بالجليد .

خرجت آنى من غرفة العمدة ومالت على المنضدة تحديق
فى الأوراق الملقاة عليها . ودخل الكابتن لوقت ، ولكنه
عندما رأى آنى توقف عند الباب وسألها « ماذا تفعلين هنا »
فقال آنى فى وجوم « نعم يا سيدى ؟ » .

— أقول ماذا تفعلين هنا ؟

— فكرت أن أقوم بالتنظيف يا سيدى .

— دعى الأشياء على حالها وامض أنت لحالك .

فقال آنى « أمرك يا سيدى » وانتظرت حتى أخلى
طريقها من الباب وهرولت الى الخارج . واستدار الكابتن
لوقت الى الباب وقال « حسنا ، احضروها الآن » وعبر جندى
الباب ، وقد تعلقت بندقيته بحمائل على كتفه ، وحمل فى
ذراعيه عددا من اللقافات الزرقاء تتدلى منها شرائط صغيرة
وقطع من قماش أزرق .

وقال لوقت « ضعها على المنضدة » فوضع الجندى
حملة على المنضدة بحذر .

والآن اصعد الى الطابق الأعلى وابلغ الكولونيل لانسر
اننى هنا ومعى الأشياء .

واستدار الجندى فى سرعة وغادر الغرفة ، وذهب لوقت
الى المنضدة والتقط أحد الصناديق وقد بدا على وجهه
الامتعاض ورفع المظلة الهابطة الصغيرة الزرقاء الى ما فوق

رأسه ثم تركها تسقط ، ففتحت المظلة وسبح الصندوق في الهواء حتى وصل الى الأرض . فأمسك لوفت الصندوق ثانية وراح يتفحصه .

ودخل الكولونيل لانسر الغرفة في سرعة يتبعه الماچور هنتر . وكان هنتر يحمل في يده رقعة من الورق الأصفر . قال لانسر « صباح الخير يا كابتن » ثم قصد الى رأس المنضدة وجلس ، وظل هنيهة ينظر الى كومة الأنابيب ثم أمسك بيده واحدة منها وقال « اجلس يا هنتر ، هل فحصت هذه الأشياء » .

وجذب هنتر كرسيًا وجلس وقال وهو ينظر الى الورقة الصفراء التي يمسك بها « لم أفحصها بعناية ، فقد انكسر القضيب الحديدى فى ثلاثة مواضع على مبعده عشرة أميال » فقال لانسر « اذن فالتق نظرة عليها وقل لنا رأيك فيها » وأخذ هنتر أنبوبة وأزال عنها الغطاء الخارجى فوجد بالداخل ربطة كان الغطاء يلتف عليها ، وأخرج هنتر سكينًا ، وأعمل بها فى الأنبوبة ونظر الكابتن لوفت عبر كتفى هنتر الذى راح يشم القطع الذى صنعه بسكينه ثم راح يمسح احدى يديه بالأخرى ، ويقول « هذه حماقة ، انه ديناميت تجارى ، لن أعرف الكمية التى يحويها من النتروجليسرين حتى أحلله » ثم نظر الى طرف الأنبوبة وقال « كبسولة التفجير من النوع المألوف ، مغطاة بالزئبق ، ولها فتيلة تظل مشتعلة مدة دقيقة

على ما أظن « ثم ألقى بالأنبوبة الى المنضدة وهو يقول
« غاية فى الرخص والبساطة » فنظر الكولونيل الى لوفت
وقال « كم تظنهم ألقوا من هذه الأشياء » فقال لوفت
« لا أدرى يا سيدى فقد التقطنا حوالى الخمسين منها ،
وحوالى تسعين مظلة ، فانه لسبب ما يترك الناس المظلات
حين يأخذون الأنايب ، واعتقد ان هناك كمية كبيرة
لم نحصل عليها بعد » ولوح لانسر بيده وقال « ان هذا
لا يجدى فى شىء ، فليسقطوا ما شاءوا ، فاننا لن نستطيع
أن نمنعهم أو نستخدمها ضدهم ، انهم لم يهزموا أحدا »
فقال لوفت بوحشية « نستطيع أن نمحوهم من على وجه
الأرض » وكان هتتر ينزع الكبسولة النحاسية من احدى
الأنايب فقال لانسر « نعم نستطيع أن نفعل هذا ، هل رأيت
هذا الغلاف يا هتتر » .

— ليس بعد ، فالوقت لم يتسع لى .

فقال الكولونيل لانسر « كأنه من عمل الشياطين ،
فالغلاف أزرق وهكذا تسهل رؤيته ، فض الغلاف الخارجى
فتجد هنا .. » ثم النقط أحد الصناديق الصغيرة « تجد
قطعة من الشكولاتة وهكذا سيبحث كل انسان عنها ، انى
أراهن ان جنودنا أنفسهم يسرقون الشكولاتة ، بل ان
الأطفال سيبحثون عنها كما لو كانت بيض عيد الفصح » .
ودخل جندى ووضع رقعة ورق صفراء أمام الكولونيل

ثم انسحب خارجا . فنظر لانسر فيها ثم قهقه ضاحكا .
— هذا شيء يهيك يا هنتر ، كسر ان جديدان في خطك
الحديدي ؟

فرفع هنتر عينه عن الكبسولة التي كان يفحصها ثم سأل
« كم أصبح التخريب شاملا ، هل ألقوا هذه الأنابيب في كل
مكان » وكان لانسر مرتبكا وهو يقول « هذا هو ما يحيرني
لقد اتصلت بالعاصمة ، ان هذه الأنابيب لم تلق الا هنا »
فسأل هنتر « وكيف تفسر ذلك ؟ » .

— وكيف لي أن أعرف ، لعلمهم يتخذون من هذه البلدة
مكانا للتجربة ، ثم يعمون القاءها اذا أصابت هنا نجاحا ،
فاذا فشلت هنا أراحوا أنفسهم .

فسأل هنتر « وماذا أنت صانع ؟ » .

— لقد أمرتني العاصمة أن أمحق هذا الأمر محققا
لا هوادة فيه ، حتى لا تلقى هذه الأشياء في أى مكان آخر .
فقال هنتر في حيرة « وكيف يمكنني أن أصلح خمسة
كسور في القضبان الحديدية ليس عندي قضبان الآن تكفي
خمس كسور فقال لانسر ، ليس أمامك الا أن ترفع بعض
خطوط المخازن الجانبية لتحل محل ما كسر » فقال هنتر
« ولكن مثل هذه القضبان لن تصلح للعمل في الخط
الرئيسي » .

— ولكنها على كل حال ستصنع خطأ رئيسيا .

وألقى الماچور هنتر الأنبوبة التي حل أجزاءها على كومة الأنابيب وتدخل لوفت في الحديث قائلا « يجب أن نمنع هذه الحوادث في الحال يا سيدي » يجب أن نقبض على من التقط هذه الأنابيب والا ظن هؤلاء القوم اننا ضعفنا أمامهم « وكان لانسر يبتسم اليه وهو يقول « هون عليك يا كابتن فلننظر أولا فيما أصابنا ثم نبحث عن العلاج » .

ثم أخذ صندوقا جديدا من الكومة وأزال عنه غلافه ثم أخرج قطعة الشكولاتة الصغيرة وذاقها وقال « انه من عمل الشيطان ، انها شكولاتة جيدة أيضا ، لا أستطيع أن أقاوم جودتها أنا نفسي ، انها الطعم مهياً في الفخ ، ما رأيك في هذا يا هنتر ؟ » .

— ما قلته لك ، انها رخيصة ولكنها قوية الأثر في المناوشات الصغيرة ، ديناميت ذو كبسولة وفتيل يشتعل مدة دقيقة ، انها جيدة لو عرفت كيف تستعملها ، ولا فائدة منها ان جهلت طريقة الاستعمال .

وراح لانسر يدرس الكتابة المطبوعة على داخل الغلاف وقال « هل قرأت هذا » فقال هنتر « ألقيت عليه نظرة » فقال لانسر « حسنا لقد قرأته أنا وأريدك أن تحسن الاصغاء اليه » ثم قرأ من الورقة « الى الشعوب المختلة ! خبيء هذا .

لا تعرض نفسك للخطر . ستحتاج الى هذا فيما بعد . انها هدية من أصدقائك اليك ، وهدية منك الى غزاة بلادك . لا تحاول أن تستخدمها في العمليات الكبيرة » ثم أخذ يعبر بعض فقرات بعينه ويقول « ويقولون هنا : الخطوط الحديدية في البلاد ، والعمليات الليلية ، شلوا حركة المواصلات وهنا التعليمات . الخطوط الحديدية : ضع أصبع الديناميت تحت القضبان في مواضع اتصالها ودسها تحت مسمار واحكم وضعها بركام من التراب أو الجليد وحين تشعل الفتيل عد من ١ الى ٦٠ وبعد ذلك سينفجر » .

ثم رفع نظره الى هنتر الذي قال ببساطة « تلك هي الطريقة » وعاد لانسر الى الغلاف وراح يقرأ فقرات متناثرة « أما عن الكبارى فاضعفوا قوائمها ولا تحطموها .. وهنا يشيرون الى الأعمدة السلكية . » ثم وضع الغلاف الأزرق جانبا وقال « تلك هي تعليماتهم » فقال لوفت غاضبا « يجب أن نعمل شيئا ، لا بد من وسيلة نسيطر بها على الموقف ، ماذا تقول القيادة العامة » .

فمد لانسر شفقيه ، وتلاعبت أصابعه باحدى الأنابيب وقال « كان يمكنني أن أخبرك بما قالوه قبل أن أسمعه ، ان الأوامر التي صدرت الى تقضى بأن نضع ألغامنا في صناديق مماثلة ونسهم الشكولاتة » ثم سكت لحظة وقال « اننى رجل مخلص للنظام يا هنتر ، ولكننى أحيانا حين أسمع

الأفكار النيرة التي تصدر عن القيادة العامة أتمنى لو كنت
مدنيا ، مدنيا عجوزا مصابا بالكساح . فهم يعتقدون دائما
انهم يواجهون شعوبا غبية .. أنا لا أقول ان هذا مقياس
ذكائهم .. ما كنت لأعنى ذلك » .

فنظر هنتر اليه مرتاحا وقال « أم تراك تعنيه ؟ » فقال
لانسر في حزم « لا ، أنا لا أعنى ذلك ، ولكن أى نتيجة
نجنيتها من ذلك ، سيلتقط رجل أحد هذه الصناديق وينفجر
به ، أو يأكل أحد الأطفال الشكولاتة التي تقدمها فيتسمم
بها ، ثم .. » ونظر الى يديه في يأس « ثم سيختبرون هذه
الصناديق بالمجسات أو يتفحصونها قبل أن يلمسوها ،
وسيجربون الشكولاتة في القلط ، يا للعنة ، انها شعوب
ذكية يا ماجور وما كانت الشراك الساذجة لتصيبهم مرتين » .

وجلا لوفت صوته قائلا « هذا كلام المتخاذلين يا سيدى
لا بد أن تعمل شيئا وكيف تفسر عدم القاء الصناديق الا في
هذه البلدة » فقال لانسر « لسبب من سبين اما أن هذه
البلدة قد اختيرت بالمصادفة ، أو أن هناك اتصالات بين هذه
البلدة والخارج . فنحن نعرف ان بعض الشباب قد هربوا »
فأعاد لوفت قوله في غباء « يجب أن نعمل شيئا يا سيدى » .

واستدار لانسر اليه وقال « اننى سأرشحك للقيادة
العامة يا لوفت ، فأنت تريد أن تعمل قبل أن تتبين حقيقة
المشكلة ، اننا نواجه نوعا جديدا من الغزو ، فقد كان الشأن

قبل ذلك أن تنزع عن الناس سلاحهم وتبقى عليهم جهلهم ،
أما اليوم فهم يسمعون الاذاعات ولا نستطيع أن نمنعهم ،
بل اننا حتى لا نستطيع أن نجد أجهزة الاذاعة » .

ونظر جندي من الباب الخارجى وقال « المستر كوريل
يريد أن يراك يا سيدى » فأجاب لانسر « سله أن ينتظر »
ثم تابع حديثه الى لوفت « انهم يقرأون المنشورات وتسقط
اليهم الأسلحة من السماء ، وانه الديناميت فى هذه المرة
يا كابتن ، وقريبا قد تأتى القنابل اليدوية ثم السموم » .

فقال لوفت فى اضطراب « انهم لم يسقطوا السموم
بعد » .

— ليس بعد ولكنهم سيسقطونها ، هل تستطيع أن
تدرك ما سيحدث لروح رجالنا المعنوية ، أو حتى لك أنت ،
إذا حصل الشعب على بعض السهام المسممة الأطراف ، تلك
الأشياء الصغيرة التى نلهو بها وتقذفها الى هدف معلق ،
انها أدوات قتل صامته صغيرة لا يمكنك أن تتبين صوتها
وهى تهدف اليك ، فتخترق حلتك الرسمية دون ضجة
تحدثها . وماذا لو عرف رجالنا ان السم يحيط بهم ، أكانوا
أو كنتم أنتم تأكلون أو تشربون فى اطمئنان » .

فقال هنتر بجفاء « أتعد عن العدو حملته يا كولونيل ؟

— لا وانما أحاول أن أتنبأ بها .

فقال لوفت « انا نجلس هنا وتتكلم بينما كان يحسن بنا
أن نبحث عن هذا الديناميت ، ان كانت هناك منظمات بين
هذا الشعب فان علينا أن نستكشفها ونحققها محقا » .

فقال لانسر « نعم يجب أن نحققها في قسوة على
ما أعتقد ! قم أنت بجانب من العمل يا لوفت ، وادع پراكل
ليقوم بجانب آخر ، كنت أرجو لو كان لدينا عدد أكبر من
صغار الضباط ، لقد قتل توندر هباء ، لماذا لم يدع النساء
وشأنهن ؟ » .

فقال لوفت « لا يعجبني مسلك الملازم پراكل في العمل
يا سيدى » .

— وماذا يعمل ؟

— انه لا يعمل شيئا على الاطلاق الا التخبط في كآبة
لا تزايله .

فقال لانسر « نعم أعلم ، انه أمر طالما تحدثت عنه ، ربما
كنت وصلت الى رتبة اللواء ان أنا لم أتحدث في ذلك الأمر
بهذا الالاحاح ، لقد أعددتنا شبابنا للنصر ولا بد أن نعترف
انهم أفذاذ عند النصر ، ولكنهم لا يعرفون أبدا كيف
يتصرفون عند الهزيمة ، لقد علمناهم انهم أذكى وأشجع
من الآخرين ، فكانت صدمة لهم حين وجدوا انهم ليسوا
أذكى ولا أشجع من غيرهم على الاطلاق » فقال لوفت في
عنف « ماذا تعنى بالهزيمة ، انا لم نهزم » .

فرفع لانسر نظره اليه في برود وظل محققا فيه فترة طويلة دون أن يتكلم حتى ارتعشت أجنان لوفت أخيرا وقال « سيدى » فقال لانسر « شكرا » .

— انك لا تطالب الآخرين بالاعتذار يا سيدى .

— انهم لا يقصدون الى الاهانة فهم في غير حاجة الى الاعتذار ، اذا لم تحكم لسانك . فأنت تقصد الاهانة ؟

— الرأى لك يا سيدى !

— امض الآن وحاول أن تمسك بزمام پراكل ، ابدأ فى التفتيش ، ولا أريد أى قتل الا اذا تهوروا .. أتفهم ما أقول ؟

فقال لوفت « نعم يا سيدى » ثم حيا بطريقة رسمية وغادر الغرفة .

ونظر هنتر الى الكولونيل لانسر بارتياح وقال « ألم تكن قاسيا عليه ! » .

— كان لا بد لى من ذلك ، انه خائف ، انى أعرف نوعه من الناس ، لا بد لأحد أن يمسك بزمامه حين يخاف والا انهار قوامه ، انه يحتاج الى النظام حين يحتاج الآخرون الى العطف ، اعتقد انه يحسن بك أن تقوم الى قضبانك ، عليك أن تعلم ان الليلة فرصتهم المناسبة لتفجير هذه القضبان .

ووقف هنتر وقال « نعم ، أعتقد ان أوامر جديدة وصلت

من العاصمة » .

— نعم .

— أهى تتحدث عن ..

فقاطعه لانسر قائلا « أنت تعرف ما تتحدث عنه ، أنت

تعرف عم يمكن أن تتحدث .. اقبضوا على المتزعمين ..

اقتلوا المتزعمين .. اقبضوا على رهائن .. اقتلوا الرهائن ..

اقبضوا على عدد أكبر من الرهائن .. اقتلوهم » وكان صوته

قد ارتفع ولكنه الآن خفت الى الهمس وهو يقول « وتنمو

الكراهية ، وتزداد الخسائر جسامه على الأيام » .

وتردد هنتر قبل أن يقول « هل أدانوا أحدا من قائمة

الأسماء ؟ » وأشار بخفة تجاه غرفة نوم العمدة ، فhez لانسر

رأسه قائلا « لا ، ليس بعد ، كل ما هناك انهم مقبوض عليهم »

فقال هنتر بهدوء « أتريدنى أن أوصى يا كولونيل .. لعلك

مجهد يا كولونيل .. هل أستطيع أن .. أنت تعرف .. هل

أستطيع أن أرسل تقريرا بأنك فى حالة اعياء »

وغطى لانسر عينيه بيده لحظة ثم اتصب قائما ، وتصلب

وجهه وقال « لست مدنيا يا هنتر ، اننا نعانى نقصا فى الضباط

اذهب الى عمك يا ماجور ، على الآن أن أرى كوريل » .

فابتسم هنتر وذهب الى الباب وفتحه وقال من خارج

الباب « نعم انه هنا » التفت برأسه الى لانسر وقال « انه
پراكل يريد أن يراك » فقال لانسر « دعه يدخل » .

ودخل پراكل متجههم الوجه وقال « يا كولونيل لانسر ،
يا سيدى ، أريد أن .. » فقال لانسر « اجلس .. اجلس
واسترح لحظة ، كن جنديا حقا » ..

وسرعان ما انقشع التجهم عن پراكل ، فجلس بجانب
المنضدة وأراح مرفقه عليها وقال « أريد .. » فقال لانسر
« ابق لحظة صامتا ، أنا أعرف ما بك ، انك لم تعتقد ان
الأمور ستجرى على هذا النحو ، لقد ظننت انها ستجرى
في صفاء » فقال پراكل « انهم يمقتوننا ، يمقتوننا أشد المقت »
فابتسم لانسر قائلا « أترأى أعرف ما بك » ، يحتاج الشباب
الى زمن طويل ليصبحوا جنودا صالحين ، والشباب يحتاج
الى فتيات أليست هذه مشكلتك ؟

— نعم ، انها هى !

فقال لانسر باشفاق « حسنا أتراها تبغضك ؟ » فنظر
اليه پراكل فى دهشة قائلا « لا أدرى يا سيدى ، أعنتقد أحيانا
انها تمتنع على » .

— وهل تشقى بهذا ؟

— لا أريد البقاء هنا يا سيدى .

— هذا واضح ، لقد حسبت الأمر هزلا .. أليس كذلك

لقد انهار الملازم توندر فخرج فأصابوه بسكين ، أستطيع
أن أعيدك الى الوطن ، أتريد أن تعود الى الوطن مع علمك
بأننا نحتاجك هنا .

فقال يراكل فى حرج « لا يا سيدى » .

— حسنا ، والآن سألقى اليك بحدِيث أرجو أن تفهمه ،
أنت لم تعد رجلا ، انك جندى ، ان راحتك لا أهمية لها ،
بل ان حياتك ليست بذات أهمية كبيرة يا أيها الملازم ، فان
حييت تجمعت لك ذكريات ، ولعل هذه الذكريات هى كل
ما ستتاله . أما الآن فان عليك أن تتلقى الأوامر فتنفذها ،
ستكون أغلب هذه الأوامر غير سارة ولكن ليس هذا من
شأنك ، لن أكذبك أيها الملازم ، كان لابد أن يعدوك لهذا
لا للطرقات المفروشة بالأزهار ، كان يجب أن ينوا روحك
على الحقائق ، ولا يخادعوها بالأكاذيب .

وأصبح صوته قاسيا وهو يقول « لقد قبلت العمل أيها
الملازم فهل أنت مبق عليه أم انك تاركه ؟ اننا لا نستطيع
أن نرعى روحك » .

ووقف يراكل قائلا « شكرا يا سيدى » .

فتابع لانسر حديثه قائلا « والفتاة أيها الملازم .. الفتاة ،
تستطيع أن تنالها عنوة أو ترعاها أو تزوجها فان شيئا من
هذا لا يهمننا ما دمت سترميها بالرصاص اذا صدرت اليك
الأوامر بهذا » .

فقال پراكل فى اجهاد « نعم يا سيدى ، شكرا يا سيدى »
— اننى اؤكد لك انه يحسن بك ان تعرف هذه الامور ،
اننى اؤكد لك هذا ، خير لك ان تعرف ابيها الملازم ، اذهب
الآن واذا كان كوريل ما زال منتظرا فارسله الى .

ثم راح يرقب الملازم پراكل وهو خارج من الباب .

ودخل كوريل وقد وضعت ذراعه اليسرى فى جباثر، وبدا
على كوريل عند دخوله انه اصبح رجلا آخر ، لم يعد ذلك
المبتهج ، الودود ، الدائم الابتسام . فقد اكتسى وجهه حدة
ومرارة ، وخبا بريق عينيه فأصبحنا كعيني خنزير صغيريتين
جامدتين : قال « كان يجب ان آتى قبل الآن يا كولونيل ،
ولكن عدم رغبتك فى التعاون معى جعلنى أتردد » .

فقال لانسر « انك — على ما أذكر — تنتظر هنا ردا
على تقريرك الذى أرسلته » .

— كنت أنتظر أمورا أكثر من هذا ، لقد رفضت أن
تولينى وظيفة ذات سلطة ، وقلت اذاك اننى لم أعد ذا نفع ،
ولم تتبين اننى كنت فى هذه البلدة قبل مجيئكم بزمان طويل ،
ولكنك تركت العمدة فى منصبه مخالفا بذلك نصحى .

فقال لانسر « لو لم يكن العمدة فى منصبه للقينا من
الفوضى أكثر مما لقينا » فقال كوريل « هذا حكم يختلف
فيه الرأى ، فان هذا العمدة هو قائد الثوار فى الشعب » .

فقال لانسر « هراء ، ما هو الا رجل ساذج » .
وأخرج كوريل بذراعه السليمة مفكرة سوداء من جيبه
الأيمن ، ثم فتحها بأصابعه وقال « لقد نسيت يا كولونيل
ان لي مصادر أنبائي ، فقد كنت هنا قبل مجيئك بزمن طويل
واننى أقرر هنا ان العمدة أوردن كان على صلة دائمة بكل
حدث وقع في هذه البلدة . في الليلة التي قتل فيها الملازم
توندر كان العمدة في البيت الذي ارتكبت فيه الجريمة .
وحين هربت الفتاة الى التلال أقامت مع أحد أقارب العمدة ،
وقد تتبعت آثارها هناك ولكنها كانت قد اختفت . كل
هروب قام به الفتيان كان أوردن على علم به وكان يساعد
عليه . واننى أرجح ان له اصيحا خفيا وراء هذه المظلات
الهابطة الصغيرة » .

فقال لانسر في لهفة « ولكنك لا تملك اثباتا » .
فقال كوريل « لا ، أنا لا أملك اثباتا ، انى أعرف الأشياء
التي ذكرتها في أول حديثى أما ما ذكرته في آخره فهو مجرد
شك . لعل بك رغبة الآن أن تستمع الى ؟ » .
فقال لانسر بهدوء « ماذا تقترح ؟ » .

— ان اقتراحاتى يا كولونيل أقوى من مجرد اقتراحات .
يجب أن تجعل من أوردن رهينة الآن ، فتتعلق حياته بالسلام
في هذه البلاد . يجب أن تتعلق حياته باشتعال فتيلة واحدة
في اصبع واحد من أصابع الديناميت .

ووضع يده في جيبه ثانية وأخرج كتابا صغيرا مطويا
وفتحه ووضع أمام الكولونيل وقال « هذا يا سيدى هو
الجواب الذى جاءنى من القيادة العامة ردا على تقريرى .
ستلاحظ انه يمنحنى بعض السلطات » .

ونظر لانسر الى الكتاب الصغير وتكلم فى هدوء « انك
فعلا قد تخطيت سلطاتى ، أليس كذلك ؟ » ثم رفع بصره اليه
بعينين فيهما كره صريح وقال « سمعت انك أصبت ، كيف
كان ذلك ؟ »

فقال كوريل « آه ، ليلة قتل ملازمك قطع على الطريق ،
وأنتذنتى الدورية . بعض رجال البلدة هربوا بقاربى فى تلك
الليلة . والآن يا كولونيل ، هل لا بد لى أن أؤكد اصرارى على
أن العمدة أوردن يجب أن يؤخذ كرهينة » .

فقال لانسر « انه هنا ولم يهرب ، كيف نجعل منه رهينة
أكثر مما هو ؟ » .

وفجأة سمع صوت انفجار آتيا من بعيد ، فنظر
كلا الرجلين الى الاتجاه الذى صدر عنه صوت الانفجار وقال
كوريل « ألم أقل لك ، انت تعلم تماما يا كولونيل انه اذا
نجحت تجربتهم هذه فسيكون هناك ديناميت فى كل قطر
محتمل » .

وأعاد لانسر سؤاله بهدوء « وماذا تقترح ؟ » .

— ما قلت لا أكثر ، يجب أن يحتفظ بأوردن ضد قيام الثورة .

— فاذا ثاروا وقتلنا أوردن ؟

— تتبعه بذلك الطبيب القمىء ، فانه وان لم يكن موظفا الا انه التالي فى السلطان على الناس .

— ولكنه بلا صفة رسمية .

— ولكنه يتمتع بثقة الناس .

— فاذا قتلناه ، ماذا يحدث بعد هذا ؟

— تملك زمام القوم ، وتخضع شوكة الثوار ، اذا قتلنا القادة ، خارت قوى الثوار .

فسأل لانسر فى سخرية « أتعتقد ذلك حقا ؟ »

— بل واثق من ذلك ؟

فهز لانسر رأسه ببطء ثم نادى الحارس ، وفتح الباب وظهر الجندى فقال لانسر « انى أمرك بالقبض على العمدة أوردن ، كما أمرك بالقبض على الدكتور وينتر ، عليك أن تضع الحراسة على أوردن ثم أحضر وينتر الى هنا فى الحال » فقال الحارس « أمرك يا سيدى » فرفع لانسر بصره الى كوريل وقال « أنت واثق أليس كذلك ؟ أرجو أن تكون مدركا كنه ما تفعل ، أرجو مخلصا أن تكون مدركا كنه ما تفعل . »



وسرعان ما انتشرت الأنباء في البلدة الصغيرة ، كانت تنتقل همسا على أبواب المنازل وفي نظرات سريعة يتبادلها القوم محملة بالمعاني ، لقد قبض على العمدة أوردن . وسرت في المدينة مهمة متحفزة وراح الناس يتحدثون خفية ثم يفترقون ، وكان الذين يقصدون الدكاكين لشراء الطعام ، يميلون على العمال لحظة وتتناقل كلمات بينهما .

وكان الناس يذهبون الى الحقول والغابات باحثين عن الديناميت ، وكان الأطفال الذين يلهون في الجليد يعثرون على الديناميت ، فالأطفال الآن لديهم تعليماتهم الخاصة هم أيضا ، فهم يفتحون الصناديق ويأكلون الشكولاتة ثم يدفنون الديناميت في الجليد ويخبرون ذويهم عن مكانه .

وقد التقط رجل من الريف البعيد احدى الأنايب ، وقرأ التعليمات المكتوبة عليها ثم قال لنفسه « أترى ما زالت

صالحة ، ثم أوقف الأنبوبة في الجليد وأشعل الفتيلة ، ثم جرى بعيدا عنها وعد ولكنه كان يسرع في عده ، فوصل في عده الى ٦٨ ثم انفجر الديناميت فقال « انها صالحة » ثم راح يبحث في عجلة عن أنابيب أخرى .

دخل الناس الى بيوتهم وأقفلوا الأبواب جميعهم دفعة واحدة كأنما يستجيبون لإشارة متفق عليها بينهم . فالشوارع هادئة . والجنود في المنجم يفتشون في دقة كل عامل ينزل الى العمل ، كانوا يفتشونه ويعيدون تفتيشه ، وكانت أعصاب الجنود تائرة ، ومسلكتهم خشنا وهم يتكلمون في قسوة الى العمال .

وكان العمال ينظرون اليهم ببرود وتختفى وراء عيونهم فرحة متشفية .

وفي غرفة الجلوس من قصر العمدة كانت الأوراق قد أزيلت عن المنضدة ، ووقف جندي في حراسة الباب المؤدى الى غرفة نوم العمدة أوردن ، وكانت آنى راكعة أمام رحبة المدفأة تضع قطعاً صغيرة من الفحم في النار ، ورفعت بصرها الى الحارس الواقف بباب الغرفة ثم قالت في عنف « هيه ، ماذا أنتم فاعلون به ؟ » فلم يحمر الحارس جواباً .

وفتح الباب الخارجى ، ودخل منه جندي آخر ممسكا بالدكتور وينتر من ذراعه وأقفل الجندي الباب وراء الدكتور وينتر ووقف على الباب بداخل الغرفة ، وقال الدكتور وينتر « مرحبا يا آنى ، كيف حال سعادة العمدة ؟ » وأشارت الى غرفة النوم وقالت « انه هنا فى الداخل » فقال

الدكتور وينتر « ليس مريضا ؟ » فقالت آنى « لا ، لا يبدو عليه المرض ، سأحاول أن أخبره انك هنا » وذهبت الى الحارس وتكلمت فى لهجة آمرة « اخبر سعادة العمدة ان الدكتور وينتر هنا ، أسمعنى ؟ » .

ولم يحر الحارس جوابا ولم يأت بحركة ولكن الباب فتح من خلفه وبدا منه العمدة الذى تجاهل الحارس وان كان قد احتك به وهو يعبره الى الغرفة ، وفكر الحارس لحظة أن يعيده الى حيث كان ، ولكنه عاد الى موقفه بجانب الباب ، وقال أوردن « شكرا يا آنى ، لا تبعدى عنا كثيرا ، فربما احتاج اليك » فقالت آنى « لا يا سيدى لن ابتعد ، هل السيدة بخير ؟ » .

— انها تصفف شعرها ، أتريدىن أن تريها يا آنى ؟

فقالت آنى « نعم يا سيدى » وعبرت هى أيضا الحارس بعد أن احتكت به وذهبت الى غرفة النوم وأقفلت الباب . وقال أوردن « أتريد شيئا يا دكتور ؟ » فابتسم وينتر فى سخرية وأشار عبر كتفه الى حارسه وقال « أعتقد اننى مقبوض على ، فقد أحضرنى صديقى هذا » فقال أوردن « أظن انه كان لابد من حدوث هذا ، ماذا تراهم فاعلين الآن ؟ » ونظر كل من الرجلين الى الآخر طويلا ، وقد أدرك كل منهما فيما كان يفكر الآخر ، ثم تكلم أوردن وكأنه يتابع حديثه « أتعلم اننى لم أكن أستطيع أن أمنع هذا لو أردت منعه » فقال وينتر « أنا أعلم ولكنهم لا يعلمون » وتابع

قوله شارحا فكرة تراوده « قوم يقدرون الوقت قدره ، وقد كاد الوقت يفوت ، ولما كانوا لا يعرفون الا زعيما واحدا ورأسا واحدا فانه يخيل اليهم اننا جميعا مثلهم ، فهم يعلمون انه لو هوت منهم عشرة رؤوس تحطموا جميعا ، ولكننا شعب حر وعندنا من الرؤوس بقدر ما عندنا من الرجال ، وعند الحاجة يظهر القواد فينا كالبرق الخاطف » .

ووضع أوردن يده على كتف وينتر وقال « شكرا ، انى أعلم هذا ولكنى أحب أن أسمعه منك ، ان شعبنا الصغير لن تهن عزيمته » ثم تفحص وجه وينتر فى قلق ، فأعاد الطبيب اليه الطمأنينة قائلا « كلا ، لن تهن عزيمته ، بل ان عزيمته — فى الحق — ستقوى بالعون الخارجى » وخيم الصمت لحظة على-الغرفة وتحرك الحارس من موقفه قليلا ، فاحتكت بندقيته بزراره .

وقال أوردن « أستطيع أن أحادثك الآن يا دكتور ، ولعلى لن أستطيع أن أحادثك ثانية ، ان هناك أشياء مخجلة صغيرة تدور بذهنى » وكح ونظر الى الحارس المتحجر ولكن الحارس لم يبن عليه انه سمع شيئا ، وقال أوردن « كنت أفكر فى موتى ، اذا تابعوا طريقهم المألوف فلا بد أن يقتلونى ثم يقتلوك » ولما لم يجب وينتر قال أوردن « أليس كذلك ؟ » فقال وينتر « نعم ، أعتقد ذلك » ثم مشى الى أحد الكراسى المذهبة ، وحين هم بالجلوس عليه لاحظ ان قماشه قد تمزق فربت الكرسى بأصابعه ، وكأن هذا سيصلح من شأنه ، ثم جلس برفق خشية أن يزيد تمزيق القماش .

وتابع أوردن الحديث « أنت تعرف انى خائف ، وقد كنت أفكر فى وسائل الهرب ، لأفقت من الموت ، لقد فكرت أن أترك الميدان ، فكرت أن أتوسل لحياتى وان جعلنى هذا أحس بالعار » .

ورفع وينتر بصره اليه وقال « ولكنك لم تفعل شيئا من ذلك ! » .

— لا ، لم أفعل .

— ولن تفعل .

وتردد أوردن ثم قال « لا ، لن أفعل ، ولكن هذا التفكير راودنى » فقال وينتر فى رقة « وكيف لك أن تعرف ان كل انسان لم تراوده هذه الأفكار ، كيف لك أن تعلم اننى لم أفكر فى هذا أنا أيضا » فقال أوردن « انى أعجب لماذا قبضوا عليك أنت أيضا ، أعتقد انهم سيضطرون الى قتلك أنت الآخر » فقال وينتر « أعتقد ذلك » ثم أخذ يدير ابهاميه كلا منهما حول الأخرى ويرقب حركتهما الدائرية .

وقال أوردن « أنت تعلم ذلك » ثم سكت لحظة وقال « أنت تعرف يا دكتور اننى رجل صغير الشأن ، وهذه بلدة صغيرة ، ولكن مهما يصغر شأن الرجل فلا بد فيه من شرارة تستطيع أن تشعل حريقا . اننى خائف .. خائف غاية الخوف ، وأفكر فى كل الوسائل التى قد أستطيع بها أن أنقذ حياتى ،

وما يلبث هذا التفكير أن يزول عني ، فأحس الآن أحيانا بشعور من الابتهاج ، لأنني كنت أكبر وأعظم من حقيقتي ، أتعلم فيم كنت أفكر يا دكتور » ثم ابتسم وهو يتذكر وقال « أتذكر أيام المدرسة ، أتذكر درس التسامح ، أتذكر أقوال سقراط : لعل بعضهم يسأل ، ألا تخجل يا سقراط أن تختار في حياتك طريقا كهذا فتهياً لنفسك ميتة قبل أوانها ؟ لهذا السائل أقول ، وان جوابي لحق ، انك مخطيء في رأيك ، فان كان في الرجل أى قبس من خير فانه يجب ألا يدخل في حسابانه فكرة الحياة أو الموت وانما عليه فقط أن يميز بين الخير والشر » وسكت أوردن محاولا التذكر . وجلس الدكتور وينتر منحنيا في جمود وقال متابعا « ثم يقوم بعمله كرجل خير أو كرجل شرير . ما أظنك تجيد حفظها . لم تكن تلميذا ممتازا أبدا ، لم تجد الحفظ أبدا » .

فضحك أوردن مسرورا وقال « أتذكر ؟ » .

فقال وينتر مندمجا في الحديث « نعم ، أذكر تماما ، كنت تنسى سطرأ أو كلمة . كنا في الامتحان النهائى ، وكنت مضطربا حتى لقد نسيت أن تدخل ذيل قميصك في ثيابك ، وظل ذيل القميص متدليا وأنت تعجب لماذا يضحكون » .

وابتسم أوردن في نفسه ، وذهبت يده في خفاء الى خلفه تبحث عن ذيل قميص متدلى وقال « لقد كنت كسقراط ،

عنفت هيئة المتحنيين ، كم عنفتهم ، هببت فيهم فرأيت الدماء
تصعد الى وجوههم » .

فقال وينتر « لقد كانوا يمسون أنفاسهم ليخفوا
الضحك ، كان ذيل قميصك متدليا » وضحك العمدة أوردن
« كم مضى على ذلك ؟ أربعون عاما ؟ » .

— ستة وأربعون .

وتحرك حارس غرفة النوم في هدوء الى حارس الباب
الخارجي ، وأخذا يتكلمان في خفوت من جانبي فمهما ،
كظليل يتهامسان في المدرسة وقال أحدهما « منذ متى تقوم
بالحراسة ؟ » .

— طول الليل ، لا أكاد أبقي على عيني مفتوحتين .

— وأنا أيضا ، أجاك شيء عن زوجتك في سفينة أمس ؟

— نعم وقد طلبت منى أبلغك تحياتها ، وقالت انها سمعت

انك جرحت ، انها لا تكثر من الكتابة .

— أخبرها اننى بخير .

— طبعا ، سأخبرها حين أكتب لها .

ورفع العمدة رأسه ونظر الى السقف وراح يتمتم

« أتري أستطيع التذكر ، ما هي بقية القطعة » ولقنه وينتر

« والآن ، أيها القوم .. » فقال أوردن في صوت خفيض

« والآن أيها القوم يا من تدينوننى .. » .

ودخل الكولونيل لانسر بهدوء الى الغرفة فانتصب الحارسان ، وحين سمع الكولونيل الكلمات وقف وراح يسمع .

ونظر أوردن الى السقف غارقا في محاولة التذكر لهذه الكلمات القديمة وقال « والآن أيها القوم ، يا من تدينوننى ، كيف يتأتى لى أن أعلنكم بنبوءتى .. فأنا على شفا الموت .. وفى ساعة الموت .. يوهب الناس القدرة على التنبوء ، وأنا .. أتنبأ لكم يا من تقتلوننى .. انه بعد .. بعد موتى مباشرة .. » ووقف وينتر قائلا « بعد رحيلى .. » فنظر أوردن اليه قائلا « ماذا ؟ » فقال وينتر « ان الكلمة هى رحيلى لا موتى ، لقد وقعت فى نفس الخطأ من قبل ، وقعت فى هذه الغلطة منذ ستة وأربعين عاما . »

— لا .. انها موتى .. انها موتى .

ثم نظر أوردن حوله فرأى الكولونيل لانسر وهو يرمقه فسأله « أليست موتى » فقال الكولونيل لانسر « رحيلى .. انها ، بعد رحيلى مباشرة » وقال الدكتور وينتر فى اصرار « أترى .. اننا اثنان أمام واحد ، ان الكلمة هى رحيلى ، انها نفس الغلطة التى وقعت فيها من قبل . »

فنظر أوردن أمامه ، وقد سرحت عيناه فى ذكرياته فلا يرى غيرها ثم استطرد « أتنبأ لكم يا من تقتلوننى أنه بعد رحيلى

مباشرة ، سيحل بكم عقاب أعظم عنفا مما أوقعتم بي واني
واثق من ذلك » .

وأوما وينتر مشجعا ، وأوما كولونيل لانسر أيضا ، وبدا
عليهما انهما يحاولان معاوته على التذكر ، واستطرد أوردن
« أما أنا فقد قتلتموني لأنكم تريدون النجاة من أعدائكم
فلا تقدموا حسابا عن حياتكم » .

ودخل الملازم پراكل صائحا في اضطراب « يا كولونيل
لانسر .. » فقال الكولونيل لانسر « صه .. » ثم مد يده
في وجهه ليسكته واستطرد أوردن في صوت خفيض « ولكن
الأمر لن تجرى الى ما ظننتم ، بل على العكس » وارتفع
صوته قويا « فأنا أقول ان أعداءكم سيزداد عددهم عما هم
اليوم » ثم أشار بيده اشارة خطابية خفيفة واستطرد « أعداء
كنت أمنعهم عنكم حتى اليوم ، ولما كانوا أصغر مني سنا ،
فسيكونون أكثر تهورا عليكم ، وستكونون أكثر تألما من
أفاعيلهم » ثم قطب جبينه محاولا التذكر فقال الملازم پراكل
« لقد قبضنا على بعض الرجال يخفون الديناميت » فقال
لانسر « صه » واستطرد أوردن « اذا كنتم تعتقدون انكم
بقتلكم الرجال ستمنعون الناس أن يهاجموا شروركم فأنتم
واهمون » ثم قطب جبينه وفكر ونظر الى السقف وابتسم
مرتبكا وقال « لا أستطيع أن أذكر غير هذا ، لقد نسيتهما »
فقال الدكتور وينتر « رائع منك أن تذكر هذا بعد ستة

وأربعين عاما ، فأنت لم تكن تجيد حفظها منذ ستة وأربعين
عاما « فقاطع الملازم پراكل قائلا « الرجال يحملون الديناميت
يا كولونيل لانسر » .

— هل قبضت عليهم ؟

— نعم يا سيدى ، الكابتن لوفت ..

فقال لانسر « ابلغ الكابتن لوفت أن يقيم عليهم الحراسة »
ثم استعاد سيطرته على نفسه وتقدم فى العرفة وقال « يجب
أن تقف هذه الأمور يا أوردن » فابتسم العمدة اليه فى يأس
وقال « لا يمكنهم أن يكفوا عنها يا سيدى » فقال الكولونيل
لانسر فى عنف « انى قبضت عليك كرهينة أضمن بها أن
يخضع الشعب ، تلك هى الأوامر الصادرة الى » فقال أوردن
ببساطة « ولكنهم لن يكفوا ، أنت لا تفهم الموقف ، حين
أصبح عقبة فى طريق الشعب ، سيسرون فى طريقهم بدونى »
فقال لانسر « قل لى رأيك بصراحة ماذا سيفعل الشعب اذا
عرف انك ستقتل ان هم أشعلوا فتىلا آخر » فنظر العمدة
الى الدكتور وينتر فى حيرة ، وفتح باب غرفة النوم وخرجت
السيدة تحمل قلادة العمدة فى يدها وقالت « لقد نسيت
هذه » فقال أوردن « ماذا ؟ آه .. نعم » وطأطأ رأسه فألبسته
السيدة القلادة فقال « شكرا يا عزيزتى » وراحت السيدة
تشكو قائلة « انك دائما تنساها ، انك لا تكف عن نسيانها
أبدا » .

ونظر العمدة الى طرف القلادة الذى أمسكه بيده ..
انه وسام من ذهب رسم عليه شعار وظيفته ، أعاد لانسر
سؤاله « ماذا سيفعلون ؟ » فقال العمدة « لا أدرى ، أعتقد
انهم سيشعلون الفتيلة » .

— فاذا سألتهم ألا يشعلوها ؟

فقال وينتر « يا كولونيل لقد رأيت هذا الصباح صيا
صغيرا بينى رجلا من الجليد بينما وقف ثلاثة من جنودكم
الكبار يرقبونه مخافة أن يصور رسما كاريكاتوريا لزعيمكم
وما أن أصبح التمثال قريب الشبه من الزعيم حتى حطموه »
وتجاهل لانسر الطيب وأعاد سؤاله « فاذا سألتهم ألا يشعلوا
الفتيلة ؟ » وبدا أوردن بعينه المقلتين كأنه فى غفوة ،
وحاول أن يفكر وهو يقول « لست فى غاية الشجاعة
يا سيدى ، أظن انهم سيشعلونها على أية حال » ثم غالب
ألفاظه وهو يقول « آمل أن يشعلوها ، أما اذا سألتهم
ألا يفعلوا فسيؤسفهم هذا » .

فقالت السيدة « فيم كل هذا الحديث » فقال العمدة
« اسكتى لحظة يا عزيزتى » وسأل لانسر فى اصرار « ولكن
أعتقد انهم سيشعلونها » فتكلم العمدة فى زهو « نعم
سيشعلونها ، ألا ترى يا سيدى ان لا خيار لى فى الموت
أو الحياة ، ولكنى حر فى اختيار طريقة حياتى أو موتى ،
اذا طلبت اليهم ألا يحاربوا سيأسفون ولكنهم سيحاربون .

وإذا طلبت اليهم أن يحاربوا سيبتهجون ، وأنا يا من لست في غاية الشجاعة سأزيد من شجاعتهم وان يكن قليلا ما أزيد » ثم ابتسم في سماحة « أترى انه أمر سهل القيام به ما دامت نهايتي واحدة على الحالين » فقال لانسر « ان قلت (نعم) نستطيع أن نخبرهم انك قلت (لا) نستطيع أن نقول لهم انك استجديت حياتك .

فقاطعه وينتر غاضبا « سيعرفون الحقيقة ، لا تستطيعون أن تمنعوا الأسرار من التسرب ، لقد طاش صواب أحدكم ذات ليلة وقال ان الذباب يغزو مصيدة الذباب ، واليوم تعرف البلدة جميعها كلماته هذه ، لقد جعلوا منها أغنية ، الذباب يغزو مصيدة الذباب ، انكم لا تتحكمون في الأسرار أيها الكولونيل .

ودوت صفارة حادة من ناحية المنجم ، وهبت زوبعة سريعة من الريح فضربت النوافذ بما تحمله من ذرات الجليد. وداعب أوردن وسامه الذهبي وقال في هدوء « أترى يا سيدي ، لا يطيق أحد أن يقف أمامهم ، ستحل بكم الهزيمة وتطردون عن البلاد » وأصبح صوته رقيقا وهو يقول « ان الشعب لا يحب أن يغزى يا سيدي ، وهكذا لن يبقى على الغازي ، ان أحرار الرجال لا يبدأون حربا ، ولكنها حين تبدأ فسيواصلون الجهاد وان أحاطت بهم الهزيمة . ان القطعان من الناس الذين يتبعون زعيما ، لا يقدرّون على هذا ، وهكذا تجد القطعان دائما هي من تكسب المعارك ،

والأحرار دائما هم من يكسبون الحروب. ستبين ان الحقيقة هي ما أقول يا سيدي . »
وكان لانسر جامدا فظا وهو يقول « ان الأوامر الصادرة الى صريحة ، الساعة الحادية عشر هي الحد الفاصل ، لقد قبضت على الرهائن فاذا لم تنقطع أعمال العنف فستعدم الرهائن » .

فقال الدكتور ويتير للكولونيل « أتنفذ أوامرك أنت تعلم ألا فائدة ترجى منها ؟ » ونقاص وجه لانسر « سأنفذ الأوامر الصادرة الى مهما تكن ، ولكنني أعتقد يا سيدي ان إعلاننا منكم قد ينقذ أرواحا كثيرة » وتدخلت السيدة في الحديث « بودى لو عرفت فيم كل هذه السخافات » .

— انها سخافات يا عزيزتى ؟

فراحت تشرح له « ولكنهم لا يستطيعون ان يقبضوا على العمدة » فابتسم أوردن لها وقال « لا ، انهم لا يستطيعون ان يقبضوا على العمدة . ان العمدة فكرة يدركها الأحرار من الرجال وهي تتأبى على القبض »

وسمع صوت انفجار آتيا من بعيد فتردد صدهاء في التلال والبلدة ، وأطلقت الصفارة في المنجم صفيرا منذرا حادا ووقف أوردن هنيهة في تجمهم شديد ثم ابتسم وانطلق صوت انفجار آخر ، أكثر قربا في هذه المرة وأشده وقعا وتردد صدهاء من الجبال فنظر أوردن في ساعته ثم خلع ساعته وسلسلتها ووضعها في يد الدكتور ويتير ثم سأل

«ماذا يقولون عن الذباب» فقال ويتر «غزى الذباب مصيدة
الذباب» ونادى أوردن أنى «وانفتح باب غرفة النوم في
الحال وقال «أكنت تسمعين؟» واضطربت وهى تقول
«نعم يا سيلى» .

وانطلق انفجار آخر قريب من مكانهم ، ثم سمع صوت
خشب يتحطم وزجاج يتشتم وانفتح الباب منفتحاً خلف
الحراس ، وقال أوردن «أنى ، أريد أن تبقى مع السيدة
طالما تحتاج إليك ، لا تتركها وحدها» وأحاط السيدة
بذراعه وقبلها فى جبينها ثم خطا ببطء تجاه الباب حيث كان
يقف الملازم براكل ، وعند الباب الخارجى استدار الى
الدكتور ويتر وقال فى رقة «يا كريتو اننى مدين لاسكلييس
:: أتراك ستذكر أداء الدين» وأقبل ويتر عينيه هنيهة قبل
أن يجيب «ان الدين سوف يؤدى» فضحك أوردن عندئذ
قائلاً «أما هذه القطعة فانى أذكرها ، أما هذه فلم أنسها»
ووضع يده على ذراع براكل فانتفض منه الملازم .
وأوماً ويتر ببطء «نعم انك تذكرها ، ان الدين سوف
يؤدى» .



LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

LibraryArab.com

com

com

com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

libraryArab.com

com

com

com

هذا الكتابُ

قصة الكفاح العرقي والشعب الهزيم يقاوم
غزاته ويأبى الا الحرية ولا يحاول الغزاة
أن يخدموا الوطنية في الشعب الذين اخلوه ويذلون
في سبيل هذه المحاولة الوعد عذبا حلا الوعيد
مذعرا مخيفا .

ولكن الشعب يجعل الحرية أمام ناظرية هدفهم
مخترق اليها كل وعد ووعد . وقد تسيل الدماء ويتفرق
الشمل من الأسرات وتمنع أسباب الحياة عن أفراد
الشعب ولكن هي الحرية ... وان الشعب اليها مندفع
مهما تتكاثر أمامه العوائق ، هذا هو الكتاب
بين يديك .

كتاب لا بد أن يقرأ